كنتُ قصيدةً تائهة

شعر

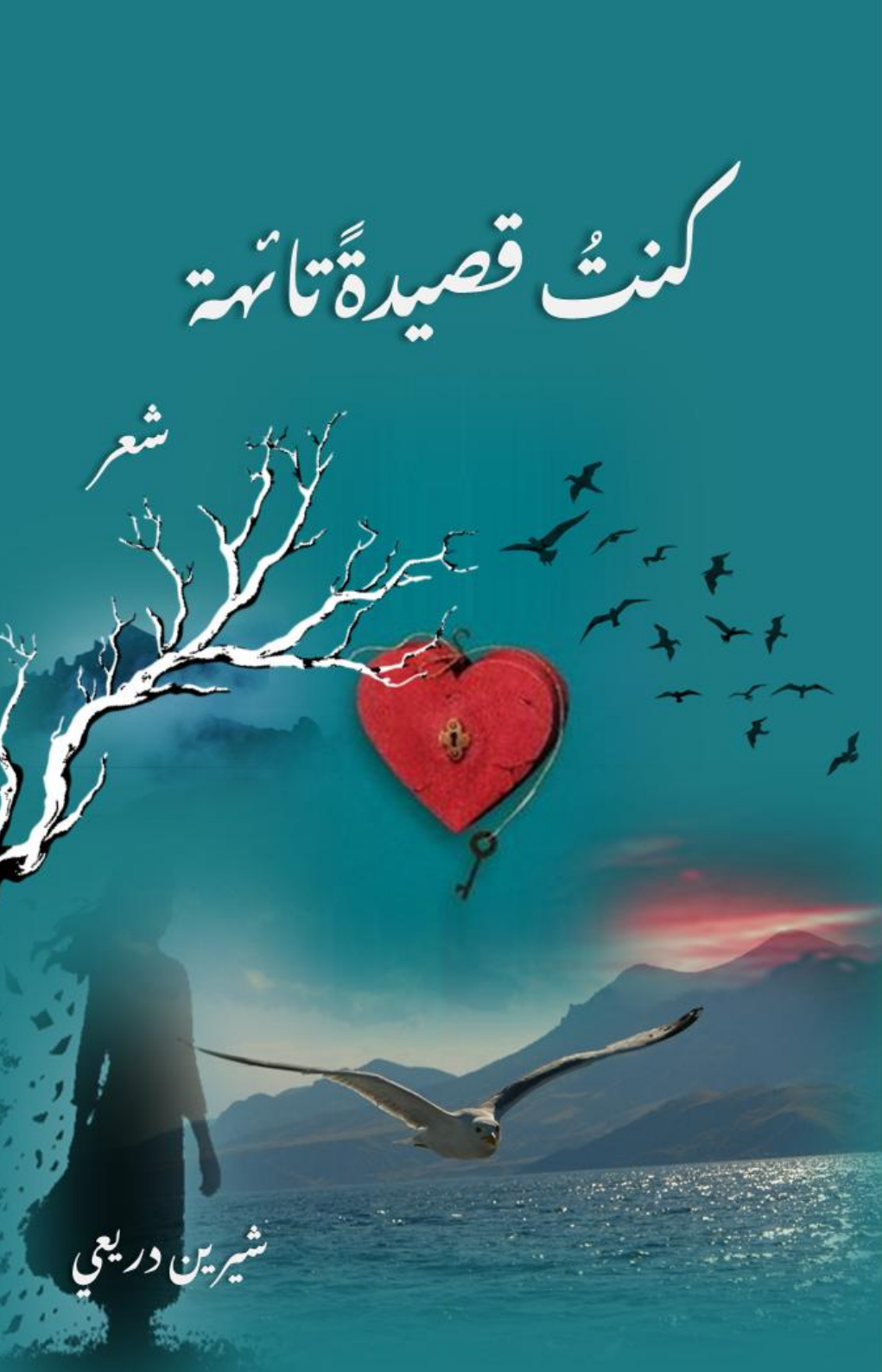

شيرين دريعي

كنتُ قصيدةً تائهة

شيرين دريعي

حزيران ٢٠٢٥

إلى أمي،
نبضُ قلبي الأولِ وأغنيةُ روحي التي لا تنتهي،
في صمتِ غيابكِ تعلّمتُ أن أكتبَ بدموعِ الحبّ،
وبحضنكِ عرفتُ معنى الدفءِ والحنينِ،
فهذا الديوانُ لكِ، زهرةٌ من وجدٍ لا يذبلُ.

المحتويات

العنوان ..... الصفحة

مقدمة ٩
في غيابك، كنتُ قصيدةً بلا صوت ١٠

١- كنتُ قصيدةً تائهة ١١
٢- روحي غريبة في منفى ١٤
٣- أنا غريبة... والمنفى وجهي ١٦
٤- تعالَ... لنبكِ معاً علينا ١٨
٥- النافذة... والقطار ٢١
٦- حنينٌ إلى أمي... ووطنٍ كان لي ٢٥
٧- وصية لعاشق لن يعود ٢٧
٨- حنينٌ في القلب، وطنٌ في الغياب ٢٩
٩- في حضرة خيانة الوقت ٣٣
١٠- يا عازفَ الوجع ٣٦
١١- نوتةٌ لا تُعزف إلا على قلبي ٣٩
١٢- حينَ يُقيمُ الحنينُ في دمي ٤١
١٣- تِرياقُ الحُبِّ والمنفى ٤٤
١٤- ذَاكِرَةُ المِلح، ويَدَاهُ ٤٧
١٥- علّمني الحبُّ... وأضاعني ٤٩
١٦- حين تنظرُ الحياةُ إليّ ٥٢
١٧- يعرفني أكثر مني ٥٦
١٨- الذي يسكنني ٦٠
١٩- أنشودة على جدار الوجع ٦٣
٢٠- رسائل معلّقة في الغيم ٦٦
٢١- حلب: نبض الفجر وجراح الأرض ٧٠
٢٢- شريعة العشاق ٧١
٢٣- لا تسألني ٧٣
٢٤- أسطورة في صمت ٧٤
٢٥- كنتَ لي ٧٥
٢٦- تعال ٧٧
٢٧- بلادي ٧٩
٢٨- بين النبض والسراب ٨١
٢٩- قلبي مائدةٌ لهم... وأنا جائعة ٨٤

٣٠- ضياعٌ بين غربتين ٨٦
٣١- سكراتُ الغدرِ وعزاءُ القلب ٨٩
٣٢- في انتظار الفرج ٩١
٣٣- لحنُ القلوبِ الضائعة ٩٤
٣٤- هكذا قالت عشتار ٩٧
٣٥- رحلةُ الضياعِ والبحث ٩٩
٣٦- همسُ الفقدِ ونداءُ الغيابِ ١٠٢
٣٧- امرأة في المنفى ١٠٤
٣٨- أيا حمامة ١٠٧
٣٩- ماتَ بمحرابِ عَيني ١١٥
٤٠- سُكراتُ الغدرِ وعزاءُ القلب ١١٦
٤١- نصفُ حياةٍ... نصفُ ضياع ١١٧
٤٢- أمي التي قسمت معي الأوجاع ١١٩
٤٣- أمي ١٢١
٤٤- أسكنتُك بين معبدِ روحي ١٢٣
٤٥- حينَ يَعبُرُنا السَّرابُ ١٢٥
٤٦- وفي الانتظار... نسكن القصيدة ١٢٦
٤٧- ليلٌ بحروف القلب ١٢٨
٤٨- منفى الغربة... وأنا في ظلالي ١٣١
٤٩- مطرٌ في رحمِ العتمة ١٣٥
٥٠- كَي لا تَبْكِي ١٣٩
٥١- وفي النهاية ١٤٢
٥٢- في آخرِ السطر ١٤٣

مقدمة

كنتُ قصيدةً تائهةً في متاهات اللغة، روحاً تحاول أن تهرب من سجن الكلمات، وحرفاً يبحث عن موطنه وسط الخرائب التي خلفتها الغربة في قلبي. لم أكن قصيدةً مكتملة، بل كنتُ تائهةً بين حروفٍ متشظية، تضيق أفقها كما تضيق صدورنا في ليالي الغربة الطويلة.

في هذا الديوان، أُعلن عن ثورةٍ صامتة، ثورة الكلمة ضد غياب المعنى، وضد اختفاء الذات في مرايا الزمن التي تعكس صوراً مشوهةً، باهتةً، ومغربةً عن أصلها. قصيدتي هنا ليست مجرد أبيات تُقرأ، بل هي انعكاسٌ لرحلة الروح التي تاهت في صحراء الغربة، وحطّت على شواطئ الوحدة الباردة، حيث تتشابك الصرخات مع الصمت في رقصاتٍ بلا نهاية.

الغربة ليست فقط جغرافية، بل هي ذلك الانفصال الذي يولد بين النفس ونفسها، بين الذاكرة وحاضرها، بين الحلم والواقع. هنا، حيث تتحول الكلمات إلى نوافذ تطل على عوالم من العدم والاشتياق، تنبعث القصيدة كطيفٍ من جسدٍ ممزق، تنسج من خيوط الألم والحنين نسيجاً يحمل عبء الوحدة، عبء السؤال الذي لا يجد جواباً.

كنتُ قصيدةً تائهةً لأنني لم أجد نفسي في صفحات ما كتبتُه، ولا في صدى الأصوات التي تُرددها أرجاء الغربة. كنتُ أبحث عن ذاتي في أطياف الكلمات، وأجدني أغوص أعمق في دوامة النسيان والضياع. لكن في هذا البحث المستمر يلوح لي نورٌ خافت من بعيد، نور الحكاية التي لم تُروَ بعد، من حياةٍ لم تُعشِ بالكامل، من وجعٍ ما زال يتغلغل في ثنايا الروح.

هذا الديوان هو مرآة، هو صرخةٌ دفينة بين طيات الصمت، هو لقاءٌ بين الماضي والحاضر، بين الحزن والأمل، بين الألم الذي يفجر الكلمة، والحنين الذي يمنحها الروح. هو احتفال بالكلمة التي رفضت أن تموت في العزلة، التي رفضت أن تكون صدىً فارغاً، بل صارت صوتاً ينبض بالحياة رغم كل ما يحيط بها من خراب.

لن تكون هذه القصائد مجرد قراءةٍ عابرة، بل ستكون رحلةً متواصلةً عبر الزمن والذاكرة، بحثاً عن وطنٍ داخلي، عن سلامٍ لم يُكتب بعد، عن ملامح ذاتٍ تنتظر أن تُولد من جديد في فضاءٍ رحبٍ من الحرية والصدق.

فلتكن قصيدتي التائهة هذه دعوةً لكل روحٍ ضائعة، لكل قلبٍ متعب، لكل نفسٍ تنتظر أن تجد طريقها بين الظلال. لعلنا معاً نعيد كتابة النهاية، نزرع أزهار الرجوع في رمال الغربة القاحلة، ونُعيد الحياة إلى الكلمات التي كانت يوماً حلماً، حلماً تائهاً، لكنه لم يمت.

في غيابك، كنتُ قصيدةً بلا صوت

كنتُ، يا من سكنتِ قلبي، قصيدةً تائهةً في محاجر الغربة، شعري يتساقط كحبات مطر حزينة، ترقص على أرض قلبي الجرداء، وحروفي تبكي في صمت الليالي الطويلة، تبحث عن حضورِكِ الذي غاب، عن دفء لمستكِ التي رحلت، عن صوتٍ يهدئ أنفاسي المتمردة.

الغربة ليست فقط بعد المكان، هي انفصال عميق بيني وبين نفسي، بين ذاكرتي وأحلامي التي تبددت، غربةٌ تشبه وجع القلب الذي لا يهدأ، حيث ينبض الحب في صمت، يزهر في قلبي كزهرة وحيدة وسط برية لا حياة فيها، أرويه بدموع الحنين، وأحتمي بظلّ ذكرياتكِ.

كنتُ هنا، وحيدةً، أكتب قصيدتي على جدران الوحدة، أرسم بيدي خطوط الألم، وألمس طيفك في نسيم خفيف، كطيرٍ جريح يحلم بالعودة إلى عشه، لكن جناحيّ مثقوبان، وأحلامي مكسورة.

يا حبيبي، كم تمنيتُ أن تحمِل روحي بين يديك، أن تذيب برد الغربة بدفء حضنك، لكن الغياب كان مرآةً قاسيةً، تكسرت فيها صورتنا، وأصبح كل لقاء ذكرى، وكل كلمة صمتاً، وكل حلم سجناً بلا مفتاح.

رغم الألم، رغم الشتات، لا تزالين أنتَ زهرتي في بستان أيامي، لحناً يعزف على أوتار قلبي المتعب، وشمساً تضيء عتمة ليالي الغربة، أحبك بصمت أعمق من البحر، وبانتظار لا ينتهي رغم كل الوداع.

كنتُ قصيدةً بلا صوت، واليوم أكتبك في قلبي، أنت القصيدة التي تنتظر أن تُروى، أنت الحلم الذي لا يذبل، وأنت الوطن الذي لا يغيب.

كنتُ قصيدةً تائهة

كنتُ قصيدةً تائهةً في زحمة الحروف،
حيث الكلمات تهرب مني،
تتبدد في زوايا الزمن،
وأنا أحاول أن أجمع شتات نفسي بين سطور لم تكتمل بعد.

كنتُ قصيدةً كُتبت على صفحات الريح،
تتطاير مع نسمات الغربة،
تبحث عن حضنٍ يأويها،
عن قلبٍ يفهمها
في أرضٍ نسيته،
وحيث نسيتني أنا.

كنتُ قصيدةً ضائعةً بين قوسين من ألم،
بين نقطتين من انتظار بلا قرار،
تُعيد تكرار اسمي في صدى الصمت،
وترسم على جدران الروح لوحاتٍ من حبر دموع جفّت،
لكنها ما زالت تنبض بحكايا لم تُروَ.

كنتُ قصيدةً هائمةً في ليالي الشتاء،
أرتدي بردَ الغربة،
وأدفئ نفسي بأشواقٍ مبعثرة،
تتسلل إلى خيالي كأنغامٍ بعيدة،
تغني للحُزن أغنيةً لا تنتهي.

كنتُ قصيدةً متعبةً،
رغم أنف الصمت،
أحاول أن ألوّن الفراغ بألوان الذكريات،
لكن الأحلام تتلاشى كظلالٍ في الضوء،
وحيدتي هي موطني،

والحنين هو سفري.

كنتُ قصيدةً تسير في متاهات الروح،
تتعب من عبث الأسئلة،
من سؤال: من أنا؟
ومن سؤال: إلى أين أذهب؟
في كل خطوةٍ أترك أثراً من كلمات،
لكن لا أحد يقرأها،
ولا حتى أنا.

كنتُ قصيدةً لا تعرف إلى أين،
تبحث عن بدايةٍ جديدة،
عن نقطة انطلاقٍ
تُعيد لها الحياة نبضها الأول،
لكنها تجد نفسها بين صفحات متشابكة،
تُحبس بين سطور الماضي وقيود الغياب.

كنتُ قصيدةً تحترق على نار الانتظار،
تذوب في دموع الليل،
تغوص في بحر الحنين،
حتى تصير موجةً تلامس الشاطئ
وتعود لتختفي في الأعماق.

كنتُ قصيدةً تعانق الغربة،
تصافح الوحدة،
تبارك الصمت،
وتشتاق إلى صوت
يقرأني كما أنا،
لا كما يريدونني أن أكون.

كنتُ قصيدةً لم تُكتب بعد،
لكنني أعلم أنني موجودة،

بين كل نبضة قلب،
في كل زفرة هواء،
في كل لحظة سكون،
أنا بين الحروف التي لم تُلفظ،
والكلمات التي لم تُنطق.

كنتُ قصيدةً تائهةً،
لكنني أظل أكتب،
رغم الألم،
رغم الغربة،
رغم كل ما فيّ من ضياع،
لأنني في الكتابة،
أجد نفسي...
وأعود لأكون.

روحي غريبة في منفى...

روحي غريبة في منفى لا يعرف اسمه،
منفى يشبهك في الغياب، ويشبهني في الانكسار.
كأنني أعيشُ خارجي، أنظر إليّ من وراء المسافات،
كأن قلبي خُلق ليبحث عنك في ليلٍ لا ينتهي،
وفي نهارٍ مشغولٍ بكَ، ولا يراك.

كيف كنتُ سأعرف أنّي أحبك هذا الحبّ الكبير،
لو لم يبنِ القدرُ بيننا جدراناً من الفراق؟
كيف لي أن أُدرك أنّي مُتيّمةٌ بك،
وأني لا أرى غير وجهك في كلّ وجوه المارّين،
لو لم تُغلق المدينة أبوابها في وجهي،
وأنا أركضُ خلفَ ظلّك، ولا أصل؟

قُل لي، أيّها الحبيب،
كيف أعصرُ هذا الحنين... وأنتَ مقيمٌ في دمي؟
كيف أهدأ، وأنت تسكن أنفاسي كما تسكنُ الروحُ الجسد؟
أتعلم؟
كلّ شهيقٍ مني يُذكّرني بك،
وكلّ زفيرٍ هو صلاةٌ سرّيةٌ باسمك.

روحي مرصودةٌ بروحك،
وأنا غريبةٌ في كلّ الأماكن،
حتى في غرفتي التي تعرفك أكثر مني،
وحتى في مرآتي، التي لا تعكسني إلا إذا لمحتُ فيّ ملامحك.

بربّك، قل لي:
كيف لي أن أتحمّل هذا الفراق؟
كيف أعيشُ وأنا منفيةٌ عنك،
وكأنّ الحياة نُطقت أول مرة حين نطقتَ اسمي،
وأُغلقت بعدك كلّ اللغات؟

كيف أبتسم من قلبي، ولا أتألّم،
إن لم تأتِني نوباتُ الحنين، وتقصّني شطرين؟
إن لم يَنهشني اسمك كلّما غفوت،
وكلّما صحوتُ من حلمٍ يشبهك... ولا يحتويك؟
حبّنا قَدَرٌ موجِع، نعم،
لكنّه أجمل الأقدار،
قدرٌ كتبه الزمانُ بأصابعه المرتجفة،
قدرٌ مؤبّد، لا خلاصَ منه،
كأنّه الأغنية الوحيدة التي لا تنتهي،
كأنّه الوطن الوحيد في غربتي.

صوتك...
ذلك اللحن الذي لا ينقطع،
يتردّد في مسمعي ليلَ نهار،
يسألني: "أين الحبيب؟"
وأنا لا أعرف أين أنجو من صوته،
ولا أين أُخبّئ قلبي إن اشتاق!

فكيف أمنعُ حنيني، وأنا في صراع؟
كيف أُطفئ نارَكَ في داخلي،
وأنا كلّما حاولتُ أن أهرب منك،
وجدتُك تسكن خارطتي؟
في زوايا ظنوني، في يقيني،
في صدفةِ الريح حين تهمس باسمي،
وفي وجع القصيدة حين تعجز عن نسيانك.

أنتَ كالسؤال الذي لا إجابة له،
كالعطرِ الذي يسرقني من ذاتي،
كالحرفِ الذي لا يُكتب إلا من دمي،
وأنا مثلك، غريبٌ بي، مقيمٌ بك،
صوتك عنواني، واسمك رفيقي،
وحنينك... صلاتي الأخيرة.

أنا غريبة... والمنفى وجهي

أنا غريبةٌ،
منفيةٌ عن ذاتي كما تُنفى الطيورُ عن سمائها،
أهيمُ في مدنٍ لا تنتمي إليَّ،
وفي أرواحٍ لا تعرف كيف تناديني،
أمرُّ على الأرصفة كأنني ظلٌّ نسي صاحبه،
وأجلسُ في الزوايا كأنني سؤالٌ لا يرغب أحدٌ في إجابته.

أنا الغريبة،
وفي الغرابة طَعمُ المرارة،
كشجرةٍ مزروعةٍ في قلبِ الصحراء،
تشتاقُ إلى الندى، ولا تعرف الماء،
تُصافحها الرياح من كلِّ الجهات،
ولا ظلَّ لها كي تحتمي،
أنا النبتةُ الوحيدة التي حلمتْ أن تُزهر في الرمل.

أنا الغريبة،
كنجمةٍ متألقةٍ في سماءٍ لا أحدَ يراها،
كأنَّ الكون تعمَّد أن يجعل نوري بعيداً،
كأنَّ الضوءَ عقابي لأنني حلمتُ بالحبّ!

أمشي... وأمشي دونَ جدوى،
خطايَ بلا عنوان،
كأنني أبحث عن قلبي بين الرمال،
وأحمله كغيمةٍ لا تمطر.

تائهةٌ في براري الانتظار،
وفي كلِّ مهبِّ ريح، أناديك،
أناديك وأنتَ الصمتُ البعيد،
أناديك وأنتَ الغيمةُ التي تأخّرتْ على حقولي.

أنتظرُكَ، يا حبيبي،
أنتظر أن تقتلعني من المنفى،
أن تزرعني في أرضك الخضراء،
أن تجعلَ لجذوري بيتاً،
ولأغصاني سماءً لا تخون.
أنتظرُ لُقياك،
لتُزيل الحزنَ عن شفتيّ،
ولتُطفئ الدمعَ في مقلتيّ،
أنتَ وحدك القادرُ أن تُعيد لي اسمي،
أن تكتبني من جديدٍ امرأةً لها مكان،
لها ظلٌّ، لها شمسٌ، لها لغةٌ تنتمي إليها.

أنتَ الوحيد،
حين تبتسم، يُزهر هذا العالم،
وحين تهمس، يسكنُ الجنونُ رأسي،
وحين تلمس يدي، تتفتّح في قلبي مواسمُ من المطر.

كلُّ شيءٍ فيَّ يتشوّق إليك،
حتى القصيدةُ التي تكتبني،
ترجوكَ أن تمسك القلم،
وأن تجعل الحروف تسكن صدرك... لا صدري.
أنا الغريبة،
لكنني حين أحببتك، وجدتُ خارطتي،
وجدتُ الأرضَ التي تسندُ خُطواتي،
والأفقَ الذي لا يُشبه الرحيل.
فهل تأتي؟
هل تمسك بيدي،
وتقول لي: "أنتِ منّي،
من جسدي، من حروفي،
من قلبي الذي ظلَّ طويلاً بلا عنوان."؟
أنا غريبةٌ، نعم،
لكن إنْ قلتَ اسمي... سأعود إليّ.

تعالَ... لنبكِ معاً علينا

تعالَ... لنبكِ معاً علينا،
كما تبكي الأشجارُ جذورَها المقطوعة،
كما يبكي المطرُ حين يسقط في صحراءَ لا تشتهيه،
لعلَّ دموعَنا تُطفئُ جحيمَ الفراق،
لعلَّ الندمَ يُصبحُ غطاءً دافئاً،
لجسدينِ أبردتهما المسافات.

تعالَ،
قبل أن يموت أحدُنا شوقاً،
ويظلَّ الآخرُ يسمع رجعَ الصدى،
تعالَ،
فأنا على وشك أن أصبحَ خبراً في جريدةِ النسيان،
وأنتَ بعيدٌ...
كأنك لستَ من هذا العالم،
كأنك من حكايةٍ اختفتْ نهايتُها في سطرٍ مفقود.

تعالَ، لنطويَ المدنَ بيننا،
لنحمل الأرضَ على أكتافنا،
ونركض إلى بعضنا كالأطفالِ في أوّلِ العيد،
لنُحرقَ الخرائط،
ونكتبَ عنوانَنا على كفِّ الغيم،
الحياةُ قصيرةٌ يا سيدي،
كحلمٍ في عينِ أرملة،
كضحكةٍ في جنازة.

خذني إليك...
أو تعال،
فالليلُ طويلٌ كخيانة،
باردٌ كحجرِ القبور،
أحتاجُك قرباً لا يُحتمل،

عُمراً لا ينتهي،
أن تكونَ لي وطناً حين تُغلقُ الأبواب،
وحضناً حين يرتجفُ الخوفُ داخلي.

الفراقُ...
هو جحيمُ الأقدار،
هو أن ترى العالمَ جميلاً ولا تملك فيه مكاناً،
أن تضحكَ والوجعُ مقيمٌ في أعماقك،
أن تتكئَ على لا أحد،
أن تكونَ في العاصفةِ دون مظلّةٍ تحمل اسمك.

قُل للفراق: تبّاً،
فلربما...
تشرق الشمسُ من بين دمعتي،
وربما ينبت الوردُ من عَتَبِ الوداع،
وربما يُغفَرُ لنا،
أننا تأخّرنا على الحب...
أو تسرّعنا في الرحيل.

أنا موجوعةٌ بك،
وأكتبُك الآن لأنك لم تَعُد تجيدُ الإصغاء،
أراكَ في ظلي،
في فناجينِ القهوةِ التي بردتْ دونك،
في وسادتي التي تشهقُ باسمك كلَّ ليل،
في الأغاني التي لا تكتمل... حين تقول اسمَك.

تعال،
كي نُجرّب أن نُحبَّ من جديد،
أن نمحوَ ما اقترفناه من مسافات،
أن نُغلقَ أفواهَ الغياب،
أن نقولَ للعُمر: انتظر قليلاً،
إنّ لنا قُبلةً مؤجّلة...

وحضناً بقي بلا موعد.

أحببتُكَ...
كما يُحبّ البحرُ ملوحتَه،
كما تعشقُ الغيماتُ اسمَ المطر،
كما يُحبّ الجرحُ ذاكرته.

فلا تترك القلبَ ينفجرُ وحده،
ولا تدعِ النبضَ يضيعُ في الفراغ،
تعالَ...
علَّ القصيدةَ تجدُ نهايتَها،
ويجدَ هذا الحبُّ شفاءه،
أو موتاً يليقُ به.

تعالَ...
فما زال في صوتي بقاياك،
وفي دفتري وردةٌ ذابلةٌ كتبتُ عليها اسمَك،
وما زال في نافذتي غيمٌ ينتظرُ ظلك،
وكلُّ الطرقِ التي لم نمشِها...
ما زالت تحفظُ وقعَ خُطانا،
وكلُّ الأغاني القديمة،
تختبئُ فيها آهاتي حينَ تذكّرتُك.

تعال،
فالحزنُ صار مألوفاً حدَّ الاعتياد،
والفرحُ غريبٌ...
كأنني لا أعرفه إلا حينَ تُنادي،
وأنا ما عُدتُ أريدُ من الدنيا سوى ركعةٍ في حضنك،
وسلاماً يُشبه ابتسامتك،
وحديثاً بسيطاً يبدأ بـ: "اشتقتُ إليكِ"...
ولا ينتهي أبداً.

النافذة... والقطار

أُدَوِّنُ أفكاري بخجلٍ
كمن يكتب اعترافاً متأخراً على هامشِ منفى،
وبعضٌ من خربشاتي
يتدلّى من نافذةٍ تُطلّ على مدن الغربة،
كأنني أطلُّ على حلمٍ ليس لي،
أو على حياةٍ نسيتُ أن أكونَ فيها.

أجولُ في هذه المدن الملساء،
كأنني لا أطأ أرضاً، بل ذاكرةً بلا لحم،
وأتأمّل من نافذتي
رائحة الصقيع،
وصوت المطر،
وشَعرَ الثلج يتساقط فوق الأرصفة الحجرية،
لا أنكر جمالها...
ولا أنكر أن الجمالَ بلا قلبٍ يَقتل،
أن الطبيعةَ حين لا تنادينا بأسمائنا
تتحوّل إلى لوحةٍ باردةٍ لا تؤنس الروح.

نسترد أرواحَنا من عمق الوجع،
لنمضي أيامنا بسلامٍ اصطناعي،
نرسم ضحكةً مبتورة،
ونعلّقها على مرآة الأيام،
نقول: إننا بخير...
بينما نحن نموت بطريقة أنيقة.

إننا في مدينة الأحلام المزيّفة،
السلام هنا ورديٌّ،
لكنه معبّقٌ بالبرودة،
وكلُّ شيءٍ فيها يتجمّد،
الأرواح، الضحكات، الشغف،

حتى الذكريات تذوب كالثلج في فم الغياب.

لا تشبه هذه البلاد بلادي،
بلادي التي كانت تشبه حضن أمي،
كانت مدفأةً للقلوب،
ومزاراً للضحكات الدافئة،
قبل أن تتلطّخ بالدم،
قبل الخراب،
قبل أن نُصبِح نازحين في تواريخ الآخرين.

بلاد الغربة عاريةٌ من الدفء،
تعاملنا كأرقام،
أما بلادنا...
فكالشمس،
تزورنا كل فجرٍ لتطمئنّ علينا،
وسنبكيها دهراً،
كلما خدشنا صقيع الغربة،
كلما غفونا في سريرٍ لا يحمل رائحة ترابها.

يا حبيباً...
كاد أن ينفطر من عيني،
أضحك... فيسألون عن سرّ الضحكة المكسورة،
أبكي... فيظنون أن غيابك لا يستحق،
أتنهّد تنهيدة العمر...
ويظنون أنني مريضة هوى،
أما أنا،
فأحتضن غيابك كأمٍّ تحتضن نعش ابنها،
وأغنّي لنفسي كي لا يشيخ الحزن في صوتي.

يا شهقةً بروحي،
يا غصّة العمر،
اقترب مني،

اقترب أكثر،
لترقص خطاي على أنغام عشقنا،
ولترقص الدموع أيضاً،
علّ التاريخ لا ينسى أن أحداً عشق حتى آخر الوجع.

أنا تائهةٌ عن ذاتي،
مجردةٌ من ملامحي،
أسير بين الوجوه كما تسير الأرواح في البرزخ،
أجلس بين الناس،
ولا أعرف من أنا،
أنا لست أنا،
أنا ظلٌّ يبحث عن شمسه في المرايا المكسورة.

أبحث عنك في المارّة،
عن وجهٍ ضاع من وجهي،
عن حضنٍ يشبه وطناً...
لم يكبر معي.
أبكي... ويبكي قلبي معي،
أشفق على نفسي
كأنني أراها لأول مرة من بعيد،
كأنني غريبة حتى عن ألمي.

أبحث عن يدٍ حانيةٍ كيد أمي،
عن وطنٍ كنتُ فيه طفلةً،
عن ضحكتي وهي تطارد الفراشات،
عن صوت أبي،
عن رائحة الخبز،
عن لهفة الغيم إذا شَهِقَت الأرض.

أبحث عن أرضٍ سُلِبَت من قلبي،
عن موطنٍ دفنّا فيه أناشيد الطفولة،
وصورَ الأجداد على جدران الطين،

وفي داخلي...
يصرخ الوطن دون مجيب،
وأصاب بنوبات حزنٍ
كشرنقةٍ خنقها الشتاء
فلم تكتمل فراشةً.

لكنني أؤمن،
أنّ الحبّ لا يموت،
وأنّ الغياب لا يُجيد الرقص،
وأنّ القصيدة...
حين تُكتب باسمك،
تصير وطناً آخر لا يُحتل.

حنينٌ إلى أمي... ووطنٍ كان لي

أمّاه...
أما زلتِ تحتفظين بوسادتي الصغيرة؟
أما زال قميصي الطفل معلّقاً على الحبل في فناء الدار؟
أم نسيتِني كما ينسى القمر ملامح الوجوه التي سهرَت له؟
أنا لا أزال أبحث عن رائحتكِ في كل قميصٍ لا يشبه حضنك،
أجرب الغياب كما يجرب الطفل الدموع لأول مرة...
ثم لا يتوقف عنها.

أمّاه...
المدينة هنا لا تعرف الفرق بين الغيم والدمعة،
والثلج لا يذوب،
حتى حين نبكي عليه بحريق القلب.
كل شيءٍ صامت،
كأنني أعيش في ساعةٍ متوقفةٍ منذ رحيلي،
كأن الزمنَ هنا خائفٌ من أن يذكر اسمي.

أشتاق لصوتكِ...
ليس لأنه صوتكِ،
بل لأنه يهمس "يا روحي"،
ولأن فيه وطني كلّه،
أشتاقُ لخبزِ تنورِكِ،
لرائحة الزيت والزعتر،
لخُفَّة قدميكِ على تراب الدار،
كأنكِ كنتِ تصلّين دون أن تدري.

هنا،
لا تنبت الزهور إلا في الفازات الصناعية،
ولا الأطفال يعرفون معنى الركض حفاةً في الحقول،
وهنا لا يربّت أحدٌ على قلبك إذا بكى،

بل يسألونك عن الدواء لا عن الوجع.

أمّاه...
أين وضعتِ ألعابي؟
أين دفنتِ قصصي الصغيرة؟
هل ما زالت دميتي ممدّدةً على السرير تنتظر؟
قلّي لها إنني لن أعود،
أو كذّبي عليها كما كنتِ تكذبين عليّ حين تسقط الطائرات فوق حينا.

وأنا؟
أنا لم أعد أعرفني،
مرآتي تقول: "من هذه؟"
والأغاني التي كنت أحبّها،
لم تعد تُبكيني كما يجب،
ولا تُفرحني كما كانت،
ولا تُشبهني إطلاقاً...

لقد صار الحنين أثقل من حقيبتي،
والغربة أوسع من جغرافيتي،
وأنا...
كلما عبر قطارٌ من أمامي
أظنُّه جاء من قريتنا،
وأركض في قلبي كطفلةٍ نسيت أنّها كبرت...
وأن أمّها ما عادت تنادِيها من الشباك.

وصية لعاشق لن يعود

يا من تركتني في محطة الانتظار،
وحيداً بين صرخات القطار وصرير الحديد،
أترك لك هذه الكلمات ..
كما تُترك الزهور على قبور الأحلام،
وصيةً تملؤها دموع الحروف،
وقصائدٌ لم تكتمل سوى على شفتي الغياب.

عد، إن استطعت،
أو ارحل كظلّ في شجرةٍ لم تُثمر،
لكن لا تترك قلبي وحيداً كمدينةٍ بلا أضواء،
ولا تسرق من عمري لحظات الانتظار،
ولا تزرع في روحي وجعاً لا يُشفى.

كل مساء،
أشعل شمعةً صغيرة في نافذتي،
لعلّها توصل إليك ضوء الندم،
ورائحة الغفران،
ورقة عشقٍ لم تذبل بين يديك،
وهمسة سلامٍ تلتقطها الريح بعيداً عن صخب الغربة.

أحببتك كما يحب النهرُ مراكبه،
كما تحب الأرضُ المطر،
كما يحنّ الحجرُ إلى العصفور،
فلا تتركني أن أغرق في صمت الوجع،
ولا تجعل الغياب طريقنا الوحيد.

إن كان الفراق قدراً،
فلتكن قلوبنا الجسور التي تبني فوقها العشق،
ولتكن الذكريات زخات مطر تُسقي أرضنا العطشى،
ولتكن الكلمات وعداً لا يُكسر،
حين يلتقي القلب بالحب، لا يعود للموت مكان.

تعال، ولو للحظة،
لنرقص على أنغام الهوى والذكرى،
ولتُنسِنا هذا الصقيع الذي يكتم أنفاسنا،
ونكتب من جديد بدايةً لا تنتهي،
حيث الوطن ليس مكاناً،
بل روحٌ نرتديها دوماً مع من نحب.

حنينٌ في القلب، وطنٌ في الغياب

حين حملتُ الحنينَ في قلبي،
لم يكن ذاكرةً عاديةً أو شعوراً عابراً،
كان نهراً عميقاً يسري في عروقي،
ينحتُ مجراه في صخر الزمن بلا هوادة،
كأنه نداءُ الطير المهاجر الذي لا يجد سوى السماء بيتاً،
وسراب الأرض مأوى ضائعاً لا يعود إليه.

كتبتُ على صفحات حبك،
كأنني أعيدُ رسمَ خريطةٍ مفقودة،
خطوطُها تنزفُ ضوءاً وغباراً،
حروفٌ تتلوى كالريح على جدران الذاكرة،
تُنسج من أقدامي ظلالَ الشتاء،
ومن شفتيَّ ذراتِ شوقٍ لم تولدْ،
كأنك كنت قصيدةً لم تُكتب بعدُ،
وعطراً يسيرُ في الغيابِ بلا اسم.

أحضرتُ من قلب الغياب سرابَ اللقاء،
وشربتُ من كأس الوجع حُلمَ العودة،
فتقطعت أضلعي كأوراق الخريف ..
حين تخطو الريحُ على صدرها،
وصار قلبي بلدةً مهجورةً تنام تحت نجومٍ مكسورة،
كلما هممتُ بالرحيل، عاد الحنين ليقبض على كتفي،
كجسدِ طفلٍ يحضن أمه في عتمةٍ طويلة.

هل تعرفُ كيف يكون الحنين؟
ليس ناراً تلتهم، بل بردٌ يذوبُ في عمق العظم،
ليس صوتاً في الفضاء، بل صمتٌ يصرخُ في الأعماق،
كأنك تمشي على طريقٍ مبللٍ بدموع السماء،
ولا تملك سوى أن تترك أثر خطواتك يختفي بين الغيوم،

كأنك غريبٌ في وطنك، وحفيدُ زمنٍ نسيتْه الأيام.
حين حملتُ الحنين في قلبي،
لم أكن أعرف أنني سأغدو كتاباً مفتوحاً على الندم،
كل صفحةٍ منه رائحةُ غيابٍ لا يبرح،
ونقشٌ قديمٌ على حائط الوجع،
كنت أُسرّب في كلامي أشجاناً لا تنتهي،
وأبني من رماد الغياب قصوراً من أشباح،
ليصبح الحلمُ جرحاً لم تداويه الأيام.

أنت، يا من كنت في عينيّ أول ضوء،
وأنت، يا من كنت في روحي آخر دفء،
كيف أكتبك وأنت صدى غير مرئي،
كيف أصنع منك وطناً في زمن الحروب،
وكيف أنسج من غيابك خيطاً يربطني بالسماء؟
صرت أغنيةً تُغنّى بلا لحن،
وصورةً تُطوى على جدار نسيان.

أحنُّ إليك كما تشتاق الأرض للمطر،
كما تشتاق الوردة لأشعة الشمس قبل الفجر،
وأنا مثل غريبٍ يسير في بلادٍ بلا أسماء،
يرنو إلى لحظةِ لقاءٍ لم تكتمل،
وينتظر في صمتٍ باردٍ ..
أن يفيضَ الحنينُ كالنهر من جديد،
فتزهر في قلبي أغاني الغروب الطويلة.

في كل ليلة، حين يغفو القمر على كتف السماء،
أجد نفسي أُحادث الذكريات،
أحكي لها عنك كما يحكي الجرح للريح،
أبوحُ لها بكل كلمةٍ ما بين النبض والدمع،
حتى صارت صمتي قصيدةً لا يفهمها إلا الحنين،
وصار الحزنُ درباً لا ينتهي في طرقات القلب.

حين حملتُ الحنين في قلبي،
علمتُ أن الرحيل ليس مجرد فقدان،
بل هو بدايةُ موتٍ بطيءٍ يعانقُ النبض،
كنتُ أسيرُ في ظلالك، أُجبرُ على اللقاء بالفراغ،
وأختار أن أمضي في الطريق الذي لا يصل إلى أحد،
لا بل إلى ذاكرتك التي لا تنسى،
التي تنبت فيها أشجار الشوق وتنمو كوابيس الوحدة.

كنت طيفاً يضيء لياليَّ السوداء،
وحلماً ينسج لي من الغيم عباءةً ثقيلة،
وكأنك قمرٌ لا يُرى إلا في أعمق الذاكرة،
تغيب ولا تغادر،
تأخذك الريح ولا تفارقني ريحك،
حين أغمض عيني، أراك في كل شيء،
في زجاج النوافذ المكسورة،
في حفيف أوراق الخريف،
وفي صوت الريح التي تعزف لحن الغياب.

يا حبيبي، في كل مرةٍ أحاول أن أنسى،
يعود الحنين كغيمةٍ سوداء،
يغطي سماء قلبي بأمطار الحزن،
ويذوب العمر في صمتٍ ثقيل،
حتى صرت أعيش في زواياك،
كما يعيش البحر في صدفةٍ مهجورة،
وأنا ذلك الوجع الذي لا ينام،
ذاك الحنين الذي لا يموت.

حين حملت الحنين في قلبي،
لم أكن أدري أني سأغدو أنا والموت وطنينَ واحد،
أغدو نجماً لا يضيء،
وغيمةً لا تمطر،
ورحلةً لا تُكتب نهايتها،

لكنني ما زلت أحيا في حكاياك،
في تفاصيل غيابك التي لا تُشفى،
وفي دمعةٍ تسكن قلبي كما يسكن الندى الوردة،
في انتظار أن يعود من لم يُغادر أبداً.

في حضرة خيانة الوقت

يا زَمَناً
لا يحملُ ساعتهُ،
ويمشي في الطُّرُقاتِ عارياً من نَبضِنا،
يا زَمَناً
يخيطُ أعمارَنا بخيطِ الغفلةِ،
ويبيعُها في سوقِ النسيانِ بأرخصِ الذكريات...

أُقاضيكَ...
لا لأنكَ مضيتَ،
بل لأنكَ أقمتَ فينا كمستعمِرٍ
يسرقُ الوقتَ من جُيوبِ الأمهات،
ويُهرِّبُ الحنينَ في توابيتِ العائدينَ من حُبٍّ لم يكتمل...

أُقاضيكَ،
يا شريكَ الخرابِ الذي باركَ خيانةَ الحُلم،
وصفّقَ للغيابِ وهو يُقصي موعداً عن عتبةِ الأمل،
ويا شاهِدَ الزُّورِ على أزمنةٍ
كانت المرايا فيها تعكسُ وجوهَ الغادرين فقط!

أيّها الزمنُ الذي
استحمَّ بدمي حينَ بكيتُ لأوّلِ مرّة،
وتعطَّرَ بخوفِ أُمّي من الغَد،
وسلَّمَ مفاتيحَنا للرّياحِ، وقال:
"كلُّ الموانِئِ للغرقى... فاغرقوا!"

دعواي عليكَ:
أنكَ سرقتَ من قلبي صوتَه،
ومن يديّ رسائلَها الأولى،
وذررتَ فوق وسائدِ عشّاقِ ترابَ الغيابِ المُرّ،

وكنتَ كلصٍّ أدمنَ أن يحصي وجعي
كي يطحنَهُ في مطحنةِ اليوميّات...

أُطالب:
بصباحٍ لا يُشبهُ ظهرَ يومِ الاثنين،
بطفولةٍ لا تموتُ حينَ يكبرُ الخوفُ في الحليب،
بزمنٍ يُرمِّمُ انكسارَ النظراتِ الأولى،
ولا يُقصي النبوءاتِ عن دفءِ الأعشاش...

أُطالب:
بأن يُعادَ ترتيبُ ذاكرةِ اللقاء،
كي لا تكونَ الصدفةُ لقيطةً في دارِ العابرين،
وبأن تُبعثَ الأحلامُ التي دَفنها الواقفونَ في نِصفِ الطريق،
بلا صلاةٍ، بلا ندمٍ، بلا وَردٍ على أبوابِها المغلقة...

يا زَمَناً
يختصرُنا كأنّنا مشاهدُ فائضةٌ في فيلمٍ بائس،
كأنّنا أخطاءٌ نحويّةٌ في روايةِ الأبد،
كأنّنا لا نستحقُّ سوى مِلحِ الانتظارِ على أرصفةِ قطاراتٍ
لا تأتي...

أيّها الزمنُ الكسيحُ الذي
يتعكّزُ على أعمارِنا ليمشي،
ويُواري عجزَهُ في ضياعِ وجوهِ أحبّتنا،
هل أخبرتَ الليلَ عن آخرِ رعشةٍ في حضنِ حلمٍ لم يُكمَل؟
هل قلتَ للغيم:
"هناكَ امرأةٌ نسيتْ أن تنامَ... منذ أن نسيتَ أن تمرَّ"؟

أُطالب:
أن يُعادَ الحبُّ إلى عرشِه،
وأن يُنصفَ الحنينُ الذي ظلَّ معتقَلاً
في زنزانةِ الصبر،
أُطالب:

ببراءةِ قُبلةٍ لم تُرتكب،
وبحُريّةِ وعدٍ لم يُولَد،
وبدايةٍ بيضاء
لم تُصفِّق للخيانة،
ولم توقّع مع الغيابِ معاهدةَ النفي الأبديّ!

يا زَمَناً
كأنكَ لم تُخلَقْ كي نكبَرَ فيكَ،
بل كي تُكبِّرَ فينا نُدوبَنا،
يا شاهِدَ الخُذلانِ الذي
يرتّبُ العَدَمَ على سريرِ الذاكرة...

ولي مَطلبٌ أخير:
أن يُلقى عليكَ القبضُ في حضرةِ القصيدة،
أن تُعلّقَ سنواتُكَ على جدرانِ الوقتِ المهدر،
أن يُكشَفَ وجهُكَ الحقيقيُّ للناس:
لا كنتَ ساعةً،
ولا كنتَ نهراً،
بل خنجراً
في خاصرةِ الإنسان.

يا عازفَ الوجع...

يا عازفَ الوجعِ،
رِفقاً بوترِ الندى،
فثمّةَ فتاةً
تُشبُّ من الحنينِ، وتشيخُ من الانتظارْ،
تخبّئُ أنفاسَها في العتمةِ
كي لا يسمعَ القلبُ رجعَ الانهيارْ،
وتكتمُ نبضَ هواها
لئلا يفيضَ الندى... فيراكْ!

أنتَ الذي مررتَ على خاصرتي
كنسيمٍ من نارٍ،
وتركتَ قلبي مشاعلَ
تمضي بلا قرارْ،
كيفَ تُجيدُ العزفَ على وجعي
وتنسى أنّي وترٌ مكسورٌ
لا يحتملُ انحناءَ الأصابعْ؟

يا مَن لها في الهوى رمحٌ وراحلةٌ،
هل مرَّ طيفي على غيمكَ
فأدرتَ وجهكَ... كأنّك لا تعرفُ المطرْ؟
وهل نسيتَ أنّني
زهرةُ الحقلِ التي
كنتَ تسقيها من دموعِ الغيابْ؟
أم أنكَ انحنيتَ فقط
كي تلتقطَ عطري من رمادِ اللهفةْ؟

أنا التي عرّتْها القبلةُ الأولى
من كلِّ يقينٍ،
ورسمتْ على صدرِها

تاريخَ من مرّوا ولم يعودوا...
فهل كنتَ عابرَ أحرفٍ في قصيدتي،
أم كنتَ أنتَ القصيدةَ،
وكلُّ الحكاياتِ ظلّك؟

أنا البنتُ التي
شابتْ من الصِّغَرِ،
من حبٍّ أتى قبلَ أن تنضجَ الحروفُ على فمِها،
ومن شوقٍ
كان أكبرَ من خُطى عمرِها.
أغنيةٌ تاهَ مطلعُها،
ومقامٌ خرجَ من آلةٍ مكسورةٍ،
وأنتَ... كنتَ النغمةَ التي
ذابتْ ولم تُعزفْ!

فالعشقُ، يا سيّدي،
يفضحُ الشوقَ ولو في العتمة،
ويُحيلُ الهمسَ صراخاً
ولو كتمَ الصدرُ النبضاتِ دهراً.
كيفَ أحببتُكَ؟ لا أدري...
كأنَّ الحبَّ قَدَرٌ يُكتَبُ في كفِّ العابرين،
كأنّه زفرةُ الأمهاتِ
حينَ يختنقُ الحنينْ.

يا ليتَني نسيتُكَ
قبلَ أن يسكنَ وجهي نَفَسك،
وقبلَ أن تسرقَ يداكَ
من قميصي بياضَ القصيدة،
وقبلَ أن أراكَ...
وتضيعَ البلادْ!

أنا لستُ أكثرَ من طفلةٍ

تخافُ الليلَ...
لكنّها تعشقُ القمرْ،
تكتبُ رسائلَها للمطر،
وتخبّئُ وجعَها
تحتَ وسادةٍ
تفوحُ برائحةِ الفقدْ.

قل لي،
هل كنتَ أنتَ الوطن؟
أم أني كنتُ الغريبةَ
التي انتظرتْ في محطّاتٍ لا تصلُها القطاراتْ؟
هل كان حبُّك مرآةً... أم هاوية؟
أم أنني التي
أفلتتْ يدَها من يدِكَ
حينَ اشتدَّ الزحامُ على بابِ القلبْ؟

يا عازفَ البزق،
لا تُوقِظْ حروفي إن لم تأتِ،
ولا تعزفْ على صمتي إن كنتَ تنوي الرحيلْ،
فأنا لستُ مقاماً عابراً
ولا موسيقى بلا معنى،
أنا وترُ الوجعِ في جسدِ القصيدة،
ولستُ مطلعَ أغنيةٍ تُنسى.

نوتةٌ لا تُعزف إلا على قلبي

أنا التي انتظرتُكَ
عندَ ناصيةِ الضوء،
زرعتُ في الغيمِ ظلَّ اسمِكَ،
وفي كلِّ قطرةِ مطرٍ
كنتُ أراكَ... ولم تأتِ.

واليومَ،
لا أنتظرُ أحداً.
لا قطارَ يمرُّ من فؤادي،
ولا ظلَّ يسكنُ الذاكرةْ.
اليومَ، أُعلِنُ انشقاقي عن وجعي،
وأجمعُ ما تبقّى من أنفاسي
لأعيدَ رسمَ ملامحي.

أنا لستُ قصيدةً كُتبتْ لِتُنسى،
ولا نشيداً عابراً
يُصفّقون له في المدى.
أنا حبرُ دمي،
وشهقةُ حريتي،
وصرخةُ امرأةٍ
صارت من الرمادِ جمرةً لا تخبو.

يا عازفَ البزق ...
عُد لأوتارك،
واكتم نشيدكَ عن قلبي،
فلم أعد بيتاً
ينتظرُ المسافرين،
ولا عتبةً
تلمُّ حنينَ العابرين.

علّمتني الغصّةُ
أن أكتبَ اسمي بلا رجفة،
أن أغسلَ وجهي بالدمعِ وأبتسمْ،
أن أكونَ امرأةً
لا تَثنيها الخساراتُ،
ولا يُكسِرُ فيها الحنين.

أنا الآن...
امرأةٌ تشبهُ الشجرةَ في الخريف،
تعرّتْ من كلّ شيء،
لكنّها ما زالت واقفة.
امرأةٌ تشبهُ القصيدةَ بعدَ موتِ الشاعر،
تنطقُ بالحياةِ
من صمتٍ طويل.

لا أحتاجُ أن تُحبّني
كما يشتهي العشّاقُ في الروايات،
ولا أن تكتبني بيتاً أولَ
في أغنيةٍ لا تكتمل.
كلُّ ما أريده... أن أكون.
أن أتنفّسني.
أن أُولدَ منّي،
وأسيرَ على قلبي
كمن يمشي إلى مجرّته.

فيا مَن كنتَ ذاتَ وجعٍ...
اذهبْ.
فأنا ما عُدتُ ضلعيَ الناقص،
ولا الأغنيةَ التي تنتظرُك لتُغنّيها.
أنا الآنُ...
نوتةٌ جديدة،
تعزفُني السماءُ وحدها.

حينَ يُقيمُ الحنينُ في دمي

منتصفُ الشوقِ...
والقلبُ يُقيمُ طقوسَهُ ..
كما يُقيمُ العاشقونَ صلاةً سرّيّةً في ليلِ المطر،
أتلو اسمَكَ...
فترتعشُ الحروفُ كأنّها حمامٌ نافرٌ على نافذةِ المساء،
وأتعثّرُ بهمساتٍ
ما بينَ ضلوعي،
أُناجيكَ...
فأُضيعُ ما تبقّى من صمتي،
وأجدّلُ نفسي خيطَ دمعةٍ
في طرفِ مناديلكَ القديمة.

يا مَن سكبتَ الحنينَ في فنجانِ قهوتي،
تثاءبَ الوقتُ بينَ يديكَ،
فصارَ المساءُ طفلاً يتدلّى من ضفائرِهِ الرماديّة،
وخيالُكَ...
طائرٌ يُشاكسُ نافذتي،
يذرعُ الفراغَ بأجنحةٍ من لهفة،
ما أرهفَكَ حينَ تعبرُ من اللاشيء
إلى كلِّ شيء!

كأنّكَ اللغةُ التي نزلتْ
من فمِ الآلهةِ الأولى،
لم يألفْها بشرٌ،
ولا قرأَها عاشقٌ إلّا واحترقَ بها
كجمرٍ يبتسمُ في كفِّ المنفى.

أنا وأنتَ...
ذاكرتانِ تتعانقانِ على حافّةِ النسيان،

أنتَ سؤالٌ أرقَّني،
وأنا جوابٌ تمزّقَ في القصيدة،
لا أعرفُ كم بحراً خضتُ لأصلَ إليكَ،
ولا كم قاعاً انكسرَ فيهِ نداءُ قلبي،
لكنّي أذكرُ أنّني كلّما اقتربتُ منكَ
ابتعدَ وجهُكَ
كالقمرِ حينَ يحجبهُ الغيمُ
كي لا نراهُ مشتعلاً بالحنين.

من نافذتي...
أُطلُّ على ملامحِكَ المُبلّلةِ بالشوق،
أراكَ تتكوّرُ في الغيمِ،
وتنأى، كما يرحلُ الشعرُ
حينَ يختنقُ الوقتُ بالبُعد.

تركتَ لي احتراقي،
وتركتَ لي ثلاثَمئةٍ وخمساً وستينَ قُبلةً
مستحمّةً بالمطر،
ومبلّلةً بندى الخيبة.

في لحظةٍ...
شهقتِ الكلماتُ،
وارتبكَ القلمُ،
ثم وُلدتْ من حنيني قصيدةٌ
مجبولةٌ برمادِ الوله،
وقلبٌ مُشاكسٌ
لا يعرفُ كيفَ يُشفى.

فيا أنتَ...
باركْ شوقي بنظرةٍ خجلى،
دعني أُطلِقْ جناحيَّ
في سَنا نورِكَ،

لا لأطير...
بل لأحترقَ بعدَ كلِّ هذا الاشتهاء.

وإذا سألوكَ عنّي...
فقلْ:
كانتْ هنا
امرأةٌ تشبهُ القصيدة،
كثيفةٌ كالغيم،
ساخنةٌ كالمطر،
تنسى الطريقَ إلى نفسها
حينَ تمرُّ من ظلِّ مَن تُحب!

تِرياقُ الحُبِّ والمنفى

كأنّني قُدْتُ من ظلّه...
لا امرأةٌ كاملة، ولا ظلٌّ لامرأة.
أنا الصدى الذي تكسَّر في فمِ القصيدة
أبحثُ عن ملامحي في مرآةٍ كَسَتها المنافي بالغبار.

ترياقُكَ يزحفُ في دمي كغزوٍ نبيل
يحتلُّني بلا راية...
ولا هدنة.
يدسُّ أنفاسَه بين أضلعي
كعاشقٍ يتخفّى في رداءِ النسيان
ويُشعلُ الشوقَ في غفوةِ الجليد.

أيّها الحبُّ...
أيّها الترياقُ المسموم
ما بالُكَ تَحملُني على كتفيكَ كمنفى؟
أهربُ منك...
فأقعُ فيك!
ألعنُك...
فأشتاقُ إليك!
أدفنُك في قعرِ قلبي
فتنبتُ في روحي كأغنيةٍ لا تُنسى.

يا ساحراً يُتقنُ القتلَ على مهل..
والمغفرةَ على استعجال
كيف جمعتَ بين يديك
قَسوةَ الرحيلِ، وحُنوَّ البقاء؟
كيف خلعتَ عني وجهي
وتركتَني أتشظّى بين مرآتين:
إحداهما تقول: "أنتِ"

والأخرى: "ما عدتِ أنتِ".

لم أعد أعرفني...
أنا التي كنتُ ذاتَ خَصرٍ من حرير،
وذاتَ شَغفٍ لا يخبو،
صرتُ سؤالاً في فمِ الذاكرة،
وغباراً على شرفةِ الانتظار.

كتعويذةٍ من زمنٍ غابر
رميتَني إلى منفى لا يبتلعني..
ولا يلفظني.
أعيشُ بين خُطاك..
كأنني وطنٌ لا يعترفُ بحدوده،
ولا يعترفُ به أحد.

كم أكرهُك... وكم أُحبُّك..
كأنَّ القلبَ مصلوبٌ بين نقيضين..
كأنَّ الهوى جريمةٌ تُرتَكبُ باسمِ البراءة..
وأنا شاهدةٌ... وضحية.

يا ترياقَ الجنون...
إنّي امرأةٌ من دخان
لا أمسكُ الهواء
ولا يثبتُ بي الحنين.
خذني إليك كأنك الخلاص..
واطردني منك كأنك البابُ المغلقُ الأخير.
علّي أصيرُ "أنا"،
أو علّي أنسى أنّني كنتُ امرأةً ذاتَ قلب.

في منفاي منك،
أكتبُك على جدرانِ الصمت،
وأرسمُك على شظايا الوقت،
وأُلقي بكَ إلى البحر،

ثم أنتظرُك على الضفّة الأخرى
كغريقٍ لا يُجيدُ العوم،
ولا يعرفُ النجاة.

فكن المنفى...
أو كن الوطن،
لكن لا تكن كليهما معاً.
لأنني إن عُدتُ إليك،
فلن أعودَ أبداً منك.

ذَاكِرَةُ المِلح، ويَدَاهُ

ذاكرةُ الملحِ لا تجفُّ...
تُبلّلني كلّما نسيتُ،
وكلّما حاولتُ أن أَشفى،
يعودُ طعمهُ في فمي،
كأنّك ما زلتَ على شفتي،
تتلو صلاتَك على رمادي.

يَداهُ...
كانتا من هواءٍ،
لكنّهما تركتا على جلدي
أثَرَ الطعنةِ الأخيرة.
لم يُمسكني،
لكنّه سحبني من ضلوعي إلى ضلوعه،
كأنّ الحبَّ لا يحتاجُ إلى أصابعَ
كي يَخدشَ الروح.

قال لي:
"الملحُ لا يُشفى منهُ أحد..."
وفعلاً، منذ غاب،
والندى في صدري مالحٌ،
والدمعُ لا يسيل، بل يُجلَدُ على الخدِّ
كأنّهُ ندمٌ يُكرّر نفسَهُ
كقصيدةٍ مكسورة.

يا وجهَهُ الغائب...
ما زلتُ أراكَ في المرايا،
لكنّك بلا ملامح،
كأنك تعمّدتَ أن تكون الغيابَ كلّه،
وأن تتركَ لي حضورَك

كأنّهُ لُغزٌ لا يُحلّ إلّا بك،
ولا يُنسى إلّا بك.

أنا التي كتبتُك على الماء،
ولمّا تبخّر الحنين،
بقيتَ في الهواء كطَيفٍ يُذيبني،
كأغنيةٍ حارقة...
تنفخُ في رمادي فتوقظني
كلّما ظننتُ أنني نجوتُ منك.

هل كان يدري؟
أنّ يديه لا تُلمسان،
لكنّهما تبقيان عالقتَين
في خصرِ القصيدة،
وفي خاصرةِ الليل،
وفي شهقةِ امرأةٍ
تحاول أن تُغلق قلبَها بالمفاتيح...
فتسمع صوتَه من ثقب الذاكرة!

ذاكرتي منه...
مِلوحةُ شاطئٍ مهجور،
وبقايا قُبَلٍ على حافةِ الوداع،
وأُمنيّةٌ لم تُقَل،
كأنّها اختنقت في الحنجرة
من شدّة الرجاء.

فلا تسألني بعد اليوم:
من هو؟
إنّهُ الذي ما زال يكتبني من بُعد،
ويُوقّعُ اسمَه على دموعي
كأنّهُ لم يَرحل،
بل اختارَ أن يعيش فيَّ
كغصّةٍ راقية.

علّمني الحبُّ... وأضاعني

علّمني الحبُّ أن أتهجّى اسمه
كما تتهجّى الأرملة ظلَّ رجُلها فوق الوسادة،
أن أرتّب الوقتَ على مواعيده،
وأزرع في قلبي حدائقَ الانتظار...
ثم أعود وحيدة،
أحملُ مواسمَ لم تأتِ،
وأغاني لا يُغنّيها أحد.

علّمني الحبُّ
أن أنام على حلمٍ لا يصحو،
أن أكتب رسائلي بلا عنوان،
أن أُحضّر قهوتي لاثنين،
وأشربها وحدي.

كان يقول لي:
"الحياةُ لا تُطاق إلا بالحبّ."
فآمنتُ كما تؤمن العصفورة بالأفق...
ثم سقطتُ من علوّ وهمه،
وتناثر قلبي على أرصفةٍ
لم أكن أعرفها.

صفعني... لا بيده،
بل بكلماته،
بغيابه،
بضحكته التي تركها في وجهي كندبة.

دخلتُ عالماً لا مرئيّاً،
عالماً لا يُقاس بالساعة،
ولا يُروى للغرباء.
تيهٌ يشبه الحلم،

وضياعٌ يشبه القصيدة.

صرختُ:
"أنا هنا!"
فردّ عليّ الصدى:
"أنتِ وحدكِ."

كنتُ أكتبُه على هواء النافذة،
كأن اسمه لا يحتاج ورقاً،
وكنتُ أراه في تقاطع الغيم،
وفي فوضى المدينة،
وفي حزني حين يغيب الليل باكراً.

علّمني الحبُّ أن أتشبث بالحرف
كما تتشبث الغريقة بخشبةٍ لا تطفو،
أن أرتّق جرحي بالكلمات،
وأخيط دمعي في ثوبٍ من القصائد.

علّمني كيف يبدو الخذلانُ
حين يأتي من جهة القلب،
وكيف يبدو الوطن
حين يصبح رجلاً.

كنتُ أقول له:
"انتظرني... سأعود من دهشتي."
فيقول:
"أنتِ لا تُشبهين شيئاً...
ولا تشبهكِ المدن."

فأبكي،
لا لأنني غريبة،
بل لأنني أصبحتُ بلا خارطة.

أنا ابنةُ القصيدة التي لا يقرؤها أحد،
وسليلةُ الحكايات التي لم تكتمل.
أنا نايٌ مكسورٌ على حافة لحنٍ مفقود،
وذاكرةٌ ترفض النسيان.

إن مررتَ يوماً بقلبي...
فلا تطرقه،
قد نسيتُ كيف أفتحُ للغرباء.

اقرأني من بعيد،
كما تُقرأ القبور،
وإن وجدتَ بقاياكَ بين الكلمات...
فأعدّها إلى التراب.

علّمني الحبُّ كيف أنهار،
وأنا واقفة،
كيف أكتب وأنا أرتجف،
كيف أحبّك...
ثم أنسى صوتك.

علّمني
أن أُهدي قلبي للغيم،
ولا أسأل عن المطر.

حين تنظرُ الحياةُ إليّ

حين تنظرُ الحياةُ إليّ...
أُديرُ وجهي قليلاً،
كي لا ترى في عينيّ خيبةً صغيرة،
ولا في ملامحي ندمَ الأيّامِ التي خذلتني.

أنا امرأةٌ
تحملُ الفجرَ في يدٍ،
وفي الأخرى رغيفَ الانتظار،
تطهو الوقتَ على نارِ القلق،
وتغنّي... كي لا تبكي.

في رأسي زوبعةُ أحلامٍ مؤجّلة،
وفي قلبي أرشيفُ الخسارات.
لكنني لا أنحني...
بل أُعيد ترتيبَ ظلالي كلّ مساء،
كأنني أُهيّئ نفسي
لمعركةٍ من نوعٍ مختلف.

أنا لستُ أيقونة،
ولا أسطورةً من غبارٍ قديم،
أنا امرأةٌ تمشي على الأسلاك،
وتُتقنُ التوازنَ بين العاطفةِ والعقل،
تضحكُ في وجهِ العاصفة،
وتتكوّرُ في المساء
تحتَ غطاءٍ من القصائد.

أنا ابنةُ الأرض،
أصنعُ خبزي من حكاياتِ الجدّات،
وأخيطُ جراحي بخيوطِ النعناع،
وأقولُ للخذلان:

لا بأس...
سأبدأ من جديد،
كما تفعلُ الشجرةُ كلَّ خريف.

الحياةُ ليست أمّاً دائماً،
بل قاسيةٌ، متقلّبة،
تمنحُ وردةً وتُخفي شوكة،
تعطينا أغنية،
وتُخرسُنا بنحيبِ الغياب.

لكنني أتقنُ الرقصَ على أطرافِ الجراح،
وأتعلّمُ من الألم
كيف أخيطُ لي شالاً من الصبر.

أؤمنُ أن العالمَ مكانٌ مؤقّت،
وأنّ كلَّ شيءٍ جميل
إمّا يذبل،
أو يُنسى،
أو يُؤخذ.

لذلك، لا أعلّقُ قلبي على بابِ أحد،
بل أُخبّئُه في خزانةِ الشعر،
وأُغلقُ عليه بذاكرةٍ عنيدة.

أنا لستُ زهرةَ نرجس،
ولا ظلَّ أنثى في أسطورة،
أنا الجذرُ في التراب،
والصوتُ في الجدار،
والوشمُ في ذاكرةِ الوطن.

أنا التي
تقولُ للفراغ: تعال،
نلعبْ قليلاً بنردِ الوحدة.

كأنني خُلقتُ لأحتمل،
أن أُربّي حنيني كطفلٍ ضائع،
وأربطَ خصرَ تعبي بشالٍ من الرجاء.

كأنني أدرّبُ قلبي
على الهدوء بعدَ العاصفة،
وعينيّ على البكاءِ بلا شهقة.

يا حياة،
لا تجيبي على أسئلتي،
فأنا أعرفُ أنّكِ لن تصدّقي.
فقط، دعيني أكتب،
لأحيا أكثر،
وأخسرَ أقل.

يا زمن،
لا تركضْ أمامي،
ولا تتظاهرْ بالنسيان،
فأنا امرأةٌ تحفظُ كلَّ التفاصيل،
وتدفنُ وجعَها
في أصغرِ زاويةٍ من القصيدة.

أنا لا أطلبُ الكثير...
رغيفاً من الدفء،
ومقعداً قربَ نافذةٍ تُشبهُ طفولتي،
وشيئاً من الليلِ
لأخيطَ منهُ حكايةً لا تموت.

أنا التي
تبتسمُ للعابرين،
وتخبّئُ الغصّةَ تحت اللسان،
تُربّي الصمتَ كأنّه قطّتُها،
وتُصافحُ الحياةَ

كمن يعرفُ أنّها عدوٌّ قديم.

حين تنظرُ الحياةُ إليّ...
لا تراني جميلة،
ولا ضعيفة،
بل امرأةً تمشي،
وفي فمها قصيدة،
وفي يدها وطن،
وفي قلبها
ما يكفي من الحنين...
كي لا تنكسر.

يعرفني أكثر مني

يعرفني أكثرَ منّي...
كأنّهُ عرفَني قبل أن أولد،
كأنّه كتبَ فصلاً من روحي،
ثم نسي أن يوقّع اسمه.

رغم ما تركه من خيباتٍ
كأنّها غبارُ مدنٍ سقطت فجأة،
ورغم آلاف الجراحِ التي ..
ما زالت تنامُ في ظلالي
كقططٍ بلا أسماء،
إلا أنّه...
ما زال يكتبني كقصائدَ لم تُكتب بعد،
وينظرُ إليّ كما لو كنتُ
قصيدةً لا يجرؤ على إفسادها بالحبر.

تخلّيتُ عنه،
كما تتخلّى البلادُ عن أمطارها
في موسمِ الخوف...
لكنّه بقي،
كما تبقى الرائحةُ بعد الغياب،
كما تبقى الذكرى
في صدر المقعدِ الفارغ.

يعرفُ ما بداخلي
كأنّه يعيشُ في داخلي،
يرى قلقي حين أبتسم،
ويصغي لصمتي
كأنّه ازدحامُ مدنٍ نائمة
على طرفِ لساني.

يقرأني حينَ أصمت،
ويحفظُ شكلَ حزني
حتى حين أرتديه
كفستانٍ أنيق.

هو يسكنني...
كروحٍ في روحي،
لا يطرقُ الباب،
ولا يستأذن،
بنى بيتاً من الذكرى
وعشّش فيه،
عنوةً عني،
وعنوةً عن محاولاتي لدفنه في قلبي،
كما تُدفنُ الحكاياتُ التي نكذب أننا نسيناها.

ربّاه...
كيف أبدأ من جديد؟
كيف أمحو النصف الآخر من اسمي،
والنصف الآخر من أغنيتي،
وهو نصفُ ذاكرة،
ونصفُ حياة؟

كيف أكتبُ فصلاً جديداً،
ولا تزال جملته الأولى
مكتوبةً على أطرافِ أصابعي؟

لقد صار ظلّي،
يرافقني حين لا أريده،
ويجلسُ إلى جواري
كحزنٍ مُهذّب،
كأنّه يقول:
"أنا هنا...

لا تُكملي الحياةَ دوني."

علّمني كيف أُفكّر به دون أن أنهار،
وكيف أراه في وجوهِ العابرين
دون أن تُغريني العودة.
علّمني أن أُصدّق أنني نسيت،
وأن أنامَ بلا صوتِه في وسادتي.

لكن...
من يُقنعُ قلبي
أنّ الخرائطَ لا تعني العودة؟
من يُقنعُ نبضي
أنّ الذي يسكنه...
لم يعُد يسكنني؟

كلّ صباحٍ،
أجمعُ حطامي،
وأبني امرأةً من الشظايا،
امرأةً تعرفُ أن لا أحد ينجو من الحب،
ولا أحد يشفى منه...
لكنّها تحاول.

هو يعرفني أكثرَ منّي،
كأنّه كتبني بخطّه،
وسلّمني للزمن،
وقال:
"دعها تحاول...
لكن لا تنسَ أنني كنتُ البداية."

يا أنت...
أخبرني:
كيف خرجتَ من ذاكرتي،
وأبقيتَ يدكَ في جيبي؟

كيف هجرتَ حياتي،
ولا تزال تنامُ في قلبي،
كالدعاءِ الأخير...
قبل نومي؟

فهل كنتَ حقيقيّاً؟
أم خيالاً جميلاً
ضلَّ طريقه إلى الواقع؟
أم كنتَ قصيدةً
انتهت قبل أن أكتبَ نهايتها؟

كلّ ما أعرفه...

أنني امرأةٌ

تُقاومكَ كما يُقاومُ الجسدُ نَفَسه،

امرأةٌ تتنفّسك...

رغم أنها

تحاول النجاةَ منك.

الذي يسكنني

هو لا يمرُّ كالعابرين،
بل يمكثُ في الروحِ،
كأنّه صلاةٌ نُسيتْ في القلب،
أو نجمٌ وقعَ... ولم يُطفأ.

رغم أنني رفعتُ راياتِ النسيان،
وأعلنتُ الهزيمةَ
في معركةٍ ما عادتْ لي،
إلا أنه ما زالَ هنا،
يطرقُ داخلي بلا يدٍ،
ويبتسمُ من خلفِ كلّ صمت.

كان يعرفني...
لا كما يعرفُ العاشقُ محبوبتَه،
بل كما تعرفُ المرآةُ
خدوشَ الوجوهِ في الصباح.

كان يقرأني
حين أُغلقُ أبوابي،
ويُصغي لقلبي
حين يخرسُ صوتي.

كان يمشي في أحلامي
كما يمشي الضوءُ على نهرٍ نائم،
لا يوقظه...
لكنّه يبلّلُ روحه.

قلتُ لنفسي يوماً:
لقد انتهى.
لكنّه،

كالحنينِ العميق،
لا يرحل... بل يتخفّى.

يظهرُ في نبرةِ أغنيةٍ قديمة،
في ظلّ رجلٍ يشبهه،
في نَفَسِ قميصٍ نسيته عند الباب.

أنا التي أغلقتُ كلَّ النوافذ،
لكنّه بنى له كوخاً
في صدري،
وأشعل فيه قنديلاً
لا ينطفئ.

من أين أبدأ؟
وكلّما حاولتُ الكتابة،
وجدتُه بين السطور،
يمسكُ القلم،
ويختار لي الحبر،
ويضحكُ حين أخطئ...
كأنّه يقول: "أنا القصيدة،
فلماذا تحاولين الفرار؟"

لم أحبّه لأنه كامل،
بل لأنه كان يعرف
أنّي أتحطّم بصمت،
وأنّي أرتّب حزني
كأنّه طاولةُ عشاءٍ للعائدين.

أيّها الذي لم تعد،
لكنّك لم تغب...
علّمني كيف أكون
امرأةً من بعدك،
لا تنتظر ظلّك في المقهى،

ولا ترتّب وسادتها على شكل صدرك.

قلبي ليس تابوتاً لك،
لكنّك فيه...
كمنزلٍ بلا أبواب،
من دخله لا يخرج،
ومن خرج لا يعود.

أعرف أنني لن أراك،
لكنّي أعرف
أنّ الهواء سيبقى يشبهك،
وأنّ الليل...
سيظلّ يهمس باسمك
كلّما حاولتُ النوم.

أنا لم آخُذك معي،
لكنّك جئت...
كأنك تعرف الطريق إلى قلبي،
حتى حين أضلّه.

أحببتك أكثر مما ينبغي،
لكنني نسيتُ أن أعلّم قلبي
كيف يعيش بعدك.

أنشودة على جدار الوجع

خرجتُ من باطنِ الألم...
لا كصرخةٍ،
بل كنغمةٍ هاربةٍ من وترٍ مكسور،
كأغنيةٍ خجلى
تسيرُ على رؤوسِ أنينِها،
وتخافُ أن تُكملَ اللحن.

أنا التي خاضتْ في أعماقِها،
كأنّ قلبي كان منجماً مهجوراً
ينبضُ تحتهُ ذهبُ الدموع.
حفرتُ بالذكريات،
ونزفتُ القصائدَ من أصابعي،
كأنني أُنزفُ موسيقى
لا أحدَ يسمعها سواي.

في داخلي امرأةٌ
تربَّت على الوجعِ كأنّه أبٌ حنون،
تعلّمتْ من الندبة
كيف ترسمُ وردةً على مرآةِ الصبر،
ومن الجرحِ
كيف تخيطُ قميصَها من ضوءٍ ودمع.

لا تسألني: من أين جئتِ؟
جئتُ من العتمةِ
التي تعلّمتْ كيف تُنجبُ نوراً،
من الشتاءِ
الذي خبّأ دفئه في صبرِ البذور،
من الألمِ...
الذي لم يقتلني،

بل كتبني.

أنا النغمةُ التي خرجتْ من صدعِ الناي،
لحنٌ بلا وطن،
كلمةٌ بلا ملجأ،
دمعةٌ تعلّمت الغناء،
وهي تنحدرُ على خدِّ الصمت.

تظنّونني قويّة،
لأني أضحكُ حينَ تمطرُ السماء،
ولأني أكتبُ حين يغادرُ الجميع،
لكنكم لا ترون أنني
أرتّبُ حزني كمكتبةٍ
كلُّ كتابٍ فيها... وجعٌ مؤجّل.

في داخلي أُغنياتٌ لم تُغنَّ،
ترتعشُ تحت جلدي كعصافيرَ مبلّلة،
وفي صدري كلماتٌ
تنتظرُ من يُنقذها من الغرق.

من باطنِ الألم خرجتُ،
لا بطلةً،
ولا شهيدة،
بل امرأةً تشبهُ الحكاياتِ التي لا تُروى،
تمشي على ظلّها،
وتُطفئُ الشموع،
لتسمعَ قلبَها أفضل.

أنا التي كتبتُ رسائلَها على أوراقِ الغيم،
وبعثتُها للريح،
لا رجاءً...
بل لأتخفّفَ من الحنين.

في قلبي أوتارٌ مقطوعة،
لكنّني أُعزف،
وفي حنجرتي ندبةُ بكاء،
لكنني أُغنّي،
وفي عيوني ضوءُ ليلٍ مُتعب،
لكنني أفتحُ نافذتي
كأنّ الفجرَ سيأتي.

لستُ قصيدةً كاملة،
أنا المسوّدةُ التي مزّقها شاعرٌ،
ثم عادَ يبكيها.

لستُ لحناً سعيداً،
أنا ارتجافةُ كمانٍ
في حضنِ حرب.

أنا ابنةُ الألم،
لكنّني لا أُشبهه.
تعلّمتُ كيف أخبزُ الجراحَ على مهل،
وأُطعِمُ صبري لليالي الطويلة.
تعلّمتُ كيف أُلقي السلامَ على الشوك،
وأعبرُ من تحت الكلام...
إلى المعنى.

من باطنِ الألم...
خرجتُ أنا،
كأنّني نُسخةُ الحياةِ
بعد أن اعتذرتْ عن قسوتِها.

رسائل معلّقة في الغيم

أتَعرفُ كم انتظرتُكَ؟
شارعاً كاملاً من المطر...
وحدي،
بمعطفٍ من الشوق،
وبحذاءٍ يغرقُ في حنينٍ
لا يُجفّفه الوقت.

كلّ قطرةٍ كانت تشبهك،
تنزلُ عليَّ كأنها كلمةٌ ناقصة
من رسالةٍ لم تكتبها لي،
وكأن الغيمَ كان يعرفني أكثر،
فكان يبعثُكَ إليّ...
نقطةً نقطة.

انتظرتُكَ
تحت قوسِ الغياب،
حيث لا أحدَ يجيء،
وحيث الظلُّ يشيخُ على الجدران
كعاشقٍ خُذلَ ألفَ مرّة.

انتظرتكَ
كمن ينتظرُ أن يبتسمَ القمر
في مدينةٍ
لا تعرفُ سوى العتمة.

لم أكن أعدُّ الدقائق،
كنتُ أعدّ خطواتي المرتجفة،
وصوتَ قلبي وهو يتلعثمُ
في كلّ ركنٍ عبرته

ولم تكن فيه.
كنتُ امرأةً
تُمشّطُ الوقتَ ..
بمشطِ الغياب،
وتربطُ جدائلها
بشريطٍ من الصبر.
شارعٌ كاملٌ من المطر
يشهدُ أنني لم أتراجع،
أنني وقفتُ ..
كما تقفُ الأشجارُ العتيقة،
تمدّ ذراعيها للعاصفة
وتبتسم...
لا لأنها لا تخاف،
بل لأنها اعتادت أن تُقتَل واقفة.

أتَعرف كم ناديتُكَ
في داخلي،
دون صوت؟
كم رسمتُك من بخارِ أنفاسي
على زجاجِ المقاهي،
ثم مسحتُك...
خشيةَ أن يراك أحدٌ غيري؟

لم أُخبر أحداً عنك،
كنتَ سرّيَ الأعمق،
كجُرحٍ أحتفظُ به
لأتذكّر أنني ما زلتُ حيّة.

كنتَ الماءَ في قلبي،
والعطشَ في روحي،
والصحراءَ التي لا تُنبت
إلا وجهكَ في مخيّلتي.

أتَعرف كم مرّة
خدعتُ نفسي بأنني نسيتُكَ؟
مرّاتٍ لا تُعد،
لكن في كلّ مرّة
كنتَ تعودُ من بين السطور،
ككلمةٍ لم أجرؤ على نُطقِها،
كحرفٍ يسكنُ اسمي
دون أن أدعوه.

النساءُ في الشارع مررنَ مثلي،
لكنّهن لم يحملنَ المطرَ على أكتافهن،
ولم يُسمّينَ كلّ قطرةٍ باسمك،
ولم يتأخّرنَ عن موعدٍ مع أنفسهنّ...
لأجل رجلٍ قد لا يعود.

أتَعرف ما معنى
أن تنتظرَ أحداً تحت المطر؟
أن ترتجفَ دون أن تشكو،
أن تكتبَ على وجنتَيك
خريطةً من الصبر،
أن تمشي في غيمة،
وتنامَ في سؤال.

كنتَ تأخّرتَ كثيراً...

لكنني،

كنتُ ما زلتُ هناك،

أعصرُ ملامحي من بردٍ لا يرحم،

وأعلّقُ قلبي على مصباحِ شارعٍ

يبتهلُ أن تمرّ.

ولم تمرّ.
والمطرُ مضى،
لكنني
ما زلتُ مبلّلةً بك،
كما لو أنّكَ
نزلتَ من السماء
ولم تخرجْ منها أبداً.

حلب: نبض الفجر وجراح الأرض

حلب يا لؤلؤة تلألأت في سماء بلادي
يا مقصد الزائرين في حضنك الغالي
كل دروب توصل إلى لقياكِ
يا من كنتِ حنونة لأهلكِ،
وكريمة في استضافتكِ

تزهرين الورود على رصيفك رغم الشوك
وتنبتين الأمل في قلوبنا، بلا خوف ولا هروب
أحبكِ أيتها المدينة، صاخبة وجامحة
ذات الكبرياء، بين طياتكِ تكمن الحكاية

كم جيل صعدوا منازلهم على أبوابكِ
فتحتِ لهم قلبكِ،
واحتضنت أحلامهم في جوانبكِ
أنتِ حلم وسبيل..
ورؤية المستقبل
أنتِ الحياة لأرواحنا، وتاريخٌ مكلل

اليوم حلب حزينة..
على دماءٍ سالت
تسفكها يد الغدر والعدوان، لا تحصد سوى الألم
لكن رغم الجراح، أنتِ شامخة في وجه الرياح
صامدة كالجبل، لا تهزها العواقب، ولا التحديات

كوني كالخيل الأصيل، لا تبوحي بمأساتكِ
ففي صمتكِ قوة، وفي قوتكِ سرٌ للأجيال
أنتِ أم المستقبل، ومصير الأمل
تستمرين رغم الجراح..
وتبقين سيدة الأرض والمجال

شريعة العشاق

أيا حبيباً، في البعدِ
يمتدُّ صوتك كظلٍّ يتبعني،
يخترق صمت أيامي
كالرياحِ التي تعرفُ طريقَها إلى النوافذِ المغلقة.

قلبي يا سيد الكون
ليس ساحةً لخطواتٍ مترددة،
العشقُ، لغةٌ لا تفهمُ التردد،
ولا تفتحُ أبوابها لمن لا يخلع نعليه
على عتبةِ الوفاء.

أنتَ تسكنُ عيني،
لكنَّ السكنَ لا يكفي،
العشقُ مأوى الروح،
والروحُ لا تقبلُ إلا من يشبهها.

لتكن لي وحدي،
اعتزل تلك الوجوه العابرة،
انزع الأقنعةَ التي تخفي ملامح قلبك،
ودعني أراه عارياً أمامي،
كي أصدق أنك لي حقاً.

أقسمُ بربِّ السماوات،
لن تجد كقلبي مأمناً،
لن تجد كروحي أرضاً
تمطرها السماءُ عشقاً.

أنا لستُ كغيري،
ولا تشبهني تلك التي تعبرُ حياتك كطيفٍ
ينطفئُ مع أول غياب.

أنا امرأةٌ متمردة،
حلمي شجرةٌ لا تنحني للريح،
وغرامي نهرٌ
لا تعرف ضفافه حدوداً.
روحي خلقت لتكون لروحك،
وكلُّ نبضةٍ في صدري تنادي باسمك،
لكن العشقَ، يا سيدي،
شريعةٌ صارمة،
تقول: أن أكونَ أو لا أكون.

متى تفهمُ أن الحبَّ ليس درساً محفوظاً؟
وأنك لن تصبح عاشقاً
حتى تتجرأ على أن تكون النبض الأول
والأخير.

لا تسألني

لا تسألني من أنا،
أنا التي أزهرت رمادها لتخطّ للعشق خارطةً،
أنا التي مزجت الفصول بنبضها،
فكانت ربيعاً في حضورك،
وعاصفةً في غيابك.

أنا التي اغتسلت بلهيب الحنين،
لتصبح أمطاراً تعانق عطشك،
أنا تلك التي اختارتك وطناً،
فتخلّت عن الخرائط وعن كل الجهات.

لا تسألني من أنا،
أنا التي هدمت أسوارها،
لتبنيك قصراً على أنقاضها،
أنا التي تنازلت عن كبريائها،
واستسلمت لهيبة عينيك.

أنا لست إلا مرآة عشقك،
انعكاس نبضك،
وخاتمة حكاياتك.

يا سيد العشق، كن عادلاً،
فالحب قانون لا يعرف الغرور،
وأنا وأنت فيه قافلة حلم،
ثالثنا الشوق، ورابعنا الانتظار.

يا من تخضرّ به قلبي،
وتنمو على ضفافه أحلامي،
كن لي كما أنا لك،
سماء بلا حدود،
وأرضاً لا تخذل جذورها.

أسطورة في صمت

قل ما شئت عني من حكايات تألفها،
وأقاويل تسردها عن مجنونتي وعشقها،
قل عني سيدة الجنون والغيرة،
وأنا في حبك أكتب أسطوري..
وأخطّها بأيدٍ من حلم.

أنا بطلة حكايتي في دنيا السراب،
المرفأ الذي ينجو فيه الموج العاتي،
أحارب من أجل قلبي المضيء،
وأقهر كل قسوةٍ بدموع الفجر.

طيبةٌ أنا حين يفيض النور،
وشريّةٌ بعض الشيء في لحظات الضعف،
عفويةٌ لا تعرف حدود العقل،
وبسيطةٌ في تفسيري للحياة التي لا تكذب.

لكن لا تخدعك ملامحي الناعمة،
فيسكنني ملاكٌ وجنية،
أعشق في صمتٍ وأثور في صمتٍ،
وأقاتل بالأمل وبالجرأة.

فلا يليق بي، أيها العاشق، دور الضحية،
أنا التي لا تعرف الانكسار، ولا الاستسلام،
أنا التي أحيى حكايةً سرمدية،
تتجدد مع كل فجرٍ،
وتتراقص بين أنفاس الزمان.

قل ما شئت، ولكنني أبقى،
أنا الأسطورة التي تسكنك وتبقى.

كنتَ لي...

كنتَ لي حبّاً يزهرُ في قلبي بلا انتهاء،
وشمعةً تضيءُ دروبَ الحيرةِ والعناء،
كنتَ رجلاً يحملُ الأمانَ في كفَّيه،
وحلماً يسكنُ عمري، ويتنفّسُ في الخفاء.

كنتَ وعداً لا يَخونُ،
ومرفأً حينَ تضطربُ أمواجُ الروح،
وكتفًا أستريحُ عليه، قلبي المتعب،
وكنتَ في ليالي الشتاءِ الطويلةِ دفئاً،
حين تعصفُ الريحُ، ويشتدُّ الصقيع.

ثم ماذا؟
ثم جاء الغيابُ كسيفٍ يقطعُ المسافات،
ويفصلُ بين نبضين كانا يوماً جسداً واحداً،
وصار الغريبُ يشغلُ مكانك،
وأصبح الصمتُ يُحادثني عنك بلا رحمة.

كم مشينا على طرقاتٍ تحفظُ آثارَ خطواتِنا،
وكم ضحكنا حتى صدحتْ السماءُ بضحكاتِنا،
وكم بكينا على حافةِ الليلِ،
وأطلقنا الأحلامَ كطائراتٍ ورقية،
تحملُ أمانينا المؤجلة.

لكن...
تسلّلَ الصبرُ إلينا كقيدٍ،
نرتديه في انتظارِ غدٍ أجمل،
غدٍ يعيدُ الوصلَ ويطفئُ حرائقَ الفُراق،
لكن الغدَ جاءنا بالخراب،
وأحالَ الحلمَ رماداً في مهبِّ الرياح.

واليوم...
أقفُ على أطلالِ حُبِّنا،
أجمعُ الذكرياتِ كأنها شظايا زجاجٍ مكسور،
وأراكَ في كلِّ زوايا المكان،
كظلٍّ يرفضُ الرحيل عنّي،
وأتنفّسُ عبقَ غيابِك كأنه حضورٌ لا يفنى.

فهل تعود؟
أم أن المسافاتِ خنقتْ ما بيننا،
وتركتْ قلبي وحيداً على شواطئ الحنين،
يراقبُ الأمواجَ وهي تحملُ ما تبقّى منّا،
ثم تختفي... كما اختفيتَ.

تعال...

تعالَ نختلسُ ما تبقّى من العمرِ المسافر،
ونجمعُ ما تناثرَ من ذكرياتٍ على قارعةِ النسيان،
تعالَ نغسلُ بدموعِنا وجوهَ أيّامٍ غابرة،
ونُضمّدُ جراحاً كانت يوماً لنا أوطاناً.

مدَّ لي يديك...
لنرسمَ بأصابعنا جسراً فوق بحرِ الأحزان،
ونخيطَ فجواتِ الفراقِ بخيطِ الحبِّ العتيق،
دعنا نكسرُ صمتَ الكبرياءِ الذي أضاعَنا،
ونعترفُ بأنّنا كنّا السيفَ والغمدَ والجرحَ العميق.

أيُّها الرفيق الأبدي...
دعنا ننسى عنادَ الأمسِ،
ونكتبَ تاريخاً جديداً بمدادِ الوفاء،
كفانا نثرنا أرواحَنا في رياحِ الفقدِ،
وكفانا سقينا بحارَ الندمِ بدموعٍ أنهكتْنا بلا انتهاء.

الحب...
ليس معطفاً نرتديه في شتاءِ الوحدةِ ...
ونخلعُه حينَ تدفئنا الشمس،
وليس كلمةً نلقيها ثم نمضي دون أن نتركَ أثراً،
الحبُّ قبسٌ يضيءُ عتماتِ أرواحِنا،
وروحٌ تسكنُ القلبَ كأنّها نبضٌ لا يشيخ.

دعنا نعزفُ...
دعنا نعزفُ سيمفونيةَ العشقِ على أوتارِ الأمل،
حتى وإن كانت أصابعُنا مرتجفةً،
حتى وإن كانت مبتورةً بألمِ الزمن،
فالموسيقى التي نخلقُها بأرواحِنا
أصدقُ من أيِّ لحنٍ عرفه الكونُ من قبل.

أنا امرأةٌ...
لا أقبلُ أن يشاركني أحدٌ فيك،
ولا أن يُقسمَ حبي بين قلوبٍ لا تعرفُ معناه،
أنا الغيرةُ حين تشتعلُ كنيرانٍ لا تُطفأ،
والحنينُ حين يشتدُّ كعاصفةٍ تبحثُ عن مرفأ.

تعال...
دعنا نكملُ العمرَ معاً،
نمشي تحتَ ظلالِ الشوقِ حتى نشيخَ،
نحكي للنجومِ حكايةَ عشقٍ لا تموتُ،
ونتركُ لأيامِنا الباقيةِ أثراً،
كوشمٍ يروي أنَّنا كنّا هنا...
وأنَّ الحبَّ كان كلَّ شيء.

بلادي...

بلادي يا جُرحاً يصرخُ في صمتِ السماء،
يا نبضاً ينزفُ من أرواحِ الشهداءِ دون انتهاء،
يا تراباً يسقيهِ دمُ الشباب،
ويا حلماً أسيراً بين أسوارِ العذاب.

واكبَتْكِ الأزمانُ القاسية...
زمانٌ ينسجُ المكائدَ كخيوطِ الظلام،
زمانٌ يحرقُ فيكِ أغصانَ السلام،
أين العدلُ؟ وأين صوتُ الإنسانِ الحر؟
أين الضميرُ الذي كان يحملُ الحلمَ الأبر؟

كفى إحراقاً...
كفى إحراقاً لقلوبِ الأمهات،
كفى دفناً لزهورِ العمرِ في المقابرِ الباكيات،
كم بكينا على أرواحٍ خُطفت منّا،
وكم صرخنا حتى ضجّت الأرضُ بأوجاعِنا،
لكنّ صرخاتِنا ظلّت عالقةً في الفراغ،
وصنعنا من الآهاتِ مقبرةً بلا أبواب.

أين العدل؟
أين العدالةُ التي وُعدنا بها يوماً؟
أين الضميرُ الذي خُلقَ ليُنصفَ؟
لكنّا نؤمنُ، رغمَ كلِّ الظلمِ والخراب،
أنَّ لفجرِ الحقِّ موعداً لن يغيبَ ولا يُوارى.

بلادي...
لكِ يومٌ يُشرقُ فيه النورُ بلا انكسار،
يومٌ تزهرُ فيه الحقولُ من جراحِكِ،
يومٌ تحملُ الرياحُ حريّةَ الأرواح،
ويصدحُ في سمائكِ نشيدُ الكرامةِ الذي لا يُنسى.

بلادي يا وطنَ الرياح...
يا مطلعَ الحريةِ رغمَ القيود،
يا تراباً خطَّ المجدَ بدموعِ الصمود،
سيأتي فجرُكِ رغمَ كلِّ الأنين،
وستنهضينَ كطائرِ الفينيقِ من رمادِ السنين.

فاصبري...
اصبري يا بلادي،
فالغدُ وعدٌ أكيد،
فما من ليلٍ إلا ولهُ صباحٌ جديد،
ولكِ منّا القلوبُ التي لا تخشى العواصف،
والأرواحُ التي تحملُ لواءَكِ في كلِّ المواقف،
حتى يعودَ لكِ مجدُكِ الضائعُ،
وتُشرقُ في سمائكِ شمسُ الحريةِ إلى الأبد.

بين النبض والسراب

أنتَ لدائي ودوائي...
أنتَ لقلبي سيفٌ وبلسم،
ألمٌ يحفرُ في الروحِ عميقاً،
وعزاءٌ يُزهرُ في ليالي الألم.
أيّ رجلٍ أنتَ؟
وكيفَ استطعتَ أن تجمعني بينَ النقيضين،
أن أكونَ فيكَ الحلمَ والكابوس،
وفي عينيكَ الحقيقةَ والوهم؟

أيُّ طريقٍ أسلكُ؟
لأنقذَ ما تبقّى من رمادِ ذاتي،
لأهربَ من مرآةِ وجهي
التي ترى فيكَ ألفَ سؤالٍ،
وألفَ إجابةٍ غائمة،
أيُّ طريقٍ يقودُني بعيداً عنكَ،
وأيُّ طريقٍ يعيدُني إليكَ؟

كيف أدخلتَني؟
كيف أدخلتَني إلى عالمٍ
تختلطُ فيه الأرواحُ بالأجساد،
عالمٍ أراهُ ساحراً
لكنّهُ يغرقُني في ضبابِ الخيال،
كيف أعيشُ بينَ الأحياءِ والموتى،
أتنفّسُ وهماً
وأحلمُ حقيقةً بلا ملامح؟

أنا بين العوالم...
لا أدري،
أأنا أطيرُ بلا جناحٍ

أم أسقطُ في هاويةٍ بلا قرار؟
عمري يمرُّ كسرابٍ
يلامسُ أطرافَ أصابعي،
ثم يذوبُ كظلٍّ يهربُ من الضوء.

أسألُ ذاتي...
هل أنا أعيشُ أم أتوهم؟
هل أنا أسيرةُ حلمٍ صنعتهُ يداي
أم أنّني لعبةُ القدرِ في مسرحِ الأوهام؟

أسألُ ذاتي...
متى ينتصرُ الحقُّ على الوهم،
ومتى أرى الشمسَ تعودُ
لتضيءَ قصرَ الأحلامِ
الذي بنيناهُ ذاتَ غفوة؟

أحلامٌ معلّقة...
هناك، خلفَ الأفقِ البعيدِ،
قصرٌ من نورٍ رسمناهُ بكلماتِنا،
لكنّهُ ظلَّ معلقاً في الهواء،
ينتظرُ أن يُكتبَ لهُ ميلاد،
أن يُزرعَ في أرضِ الحقيقة،

لكن...
هل الحقيقةُ حلمٌ آخر؟
أم أنّ الحلمَ هو الحقيقةُ الوحيدةُ في هذا الخراب؟

أنتَ لدائي ودوائي...
وفيكَ أمضي،
على طرقاتِ الضياعِ
باحثةً عنكَ،
عنّي،

عن نهايةٍ تروي حكايتي،
حكايةُ قلبٍ أحبَّ ..
حتى صارَ هوَ ذاتهُ..
الحبَّ والوجع،
الحلمَ والسؤال.

قلبي مائدةٌ لهم... وأنا جائعة

كنتُ أطعمهم حبّي،
أنثرُ لهم قمحَ روحي براحتي،
أخبئُ لهم حزني كي لا يذوقوه،
وأجعلُ فرحي كساءً يستدفئون بهِ في ليالي الوحدة.

كنتُ أمنحهم الدفءَ حينَ يقرصُ البردُ قلوبَهم،
أطفئُ عطشَهم من نبعِ صبري،
أحملُ عنهم أثقالَ الأيامِ،
وأعطيهم عمري لقمةً بلا ثمن.

ثم ماذا؟
ثم تركوني لجوعِ أيّامي،
لنهشِ الريحِ عظامي،
أداروا ظهورَهم حينَ سقطتُ،
ووزّعوا بقاياي على موائد الغريب.

عجباً...
كيفَ يرضيهم فتاتُ الطريقِ ..
بعدما تذوّقوا خُبزَ قلبي؟
كيفَ يرتوون من غدرِ الآبارِ ..
بعدما شربوا من نهرِ دمي؟
كيفَ صارَ ظلّي عبئاً على خطاهم
وأنا من كنتُ لهم سماءً تأوي غربتَهم؟

آهٍ يا روحي...
كم سقيتِ غيرَكِ حُبًّا فذبلتِ،
كم صنعتِ من أضلاعكِ بيتاً فاحترقتِ،
كم كنتِ ضوءاً لهم فتركوكِ ..
في العتمةِ تمضينَ وحدكِ بلا دليل.

لكنّي اليومَ، أقسمُ بروحي المتعبة،
لن أكونَ مائدةً تُنثرُ عليها الخناجر،
لن أكونَ يداً تُصافحُ الغدرَ وهي ترتجفُ حنيناً،
سأجمعُ فتاتَ قلبي،
سألمُّ ظلالي المتكسّرة،
وسأمضي وحدي...
لكنني هذه المرة، سأمضي إليّ.

"ضياعٌ بين غربتين"

غريبةٌ أنا...
وفي صدري أرملةُ الضوءِ،
تبحثُ عن وجهِها في الزجاجِ الكسيرْ،
وفي راحتيَّ حنينٌ
يشدُّ الحقولَ إليَّ ولا يستقرْ.

تعبتُ من الصوتِ...
من صمتيَ الثقيلِ،
من الطرقاتِ التي لا تردُّ السلامْ،
من اسميَ الذي لا يُجيبُ
إذا نادَتهُ الرياحُ
على حافّةِ الليلِ،
في بردِ غُربتها والظلامْ.

أيا وطني...
هل تذكُرُني؟
كنتُ طفلةَ حقلٍ...
تربّي الندى في خيالِ الزهورْ،
وتجمعُ ظلَّ الطيورِ على دفترِ اللهوِ،
تركضُ خلفَ الغيومِ
ولا تسألُ الريحَ:
من أنت؟ من نحن؟
أينَ البدايةُ؟
وأينَ السُرُرْ؟

أشتاقُ نافذتي
حين كانتْ تطلُّ على ضحكتي،
وتجمعُ وجهي من الشَّعرِ
حين تبعثرُه الريحُ

فوقَ وسائدِ أمي،
أشتاقُ مقعدَ درسيَ الخشبيَّ،
ورائحةَ الطبشورِ
على قميصيَ الصغيرْ.

وفي غربتي...
لم يَعُد لي سوى ظلّي
أُرافقهُ في شوارعَ لا تعرفُني،
كلُّ شيءٍ هنا يشبهُ البردَ
إلا قلبي،
فهو جمرةُ حنينٍ
لا تنطفئْ.

غريبةٌ أنا...
في أرضٍ نسيتْ لغتي،
وفي ليلٍ
تشهقُ فيه مرايا الغيابْ.
صوتيَ مجروحٌ،
وكلماتي
تموتُ على شفتيَّ
كأغنيةٍ لم تُغنَّ،
كطفلةٍ
تخافُ الحكايةَ إن جاءَ المساءْ.

فيا وطني...
إن عدتُ إليكِ
بملامحَ أُخرى،
بصوتٍ غريبٍ،
وبعينٍ أكلها البُعدُ والانتظارْ...
هل تفتحينَ ذراعيكِ لي؟
أم تمضينَ مثلي
ولا تلتفتينْ؟

غريبةٌ أنا...
بين غربتيْن:
واحدةٌ تسكنُ بي،
والأُخرى تسكنُ المسافاتِ بينَ يديَّ.
يا ليتني كنتُ شيئاً
بلا ذاكرة،
يا ليتني نسيتُ...
فربّما استطعتُ أن أعودْ،
أو، على الأقلّ،
أمضي إليَّ من جديدْ.

سكراتُ الغدرِ وعزاءُ القلب

كيفَ أطلقتَ سهمَ الغدرِ في أضلُعي؟
فشقَّ موطنَ الهوى، ومزَّقَ نَسجي!
وكيفَ غرستَ في فؤادي خنجرَ الخديعةِ،
فنزفَ وجعاً لا تُخمِدُهُ الأيامُ؟

أيُّ يومٍ كنتَ لي حبيباً... كيف غدرتَ؟
أسألكَ بالله، أَنحنُ في يقظةٍ أم في سُكرِ؟
أأفيقُ على كابوسِ الخيانةِ،
أم أنَّ الغدرَ محضُ وهمٍ في خاطري؟

قلبي يصرخُ بأنينِه النازفِ،
يُراودُني السؤالُ المُرُّ:
هل كانتْ طعنتُك بغيرِ قصدٍ؟
لا، واللهِ، ليسَ الغدرُ من شيمِ العاشقين!

أيُّها الذي منحتهُ بين الأنامِ اسماً،
وأقسمتُ أنَّ روحي بروحِهِ ميثاقُ،
إن كنتَ أنتَ من أطلقَ السهمَ،
فليكنْ... فصدري مفتوحٌ له،
كرقصِ الطيرِ مذبوحاً، لا يُقاومُ الألمَ،
لكنِّي ما زلتُ واقفةً، أنزفُ بشموخٍ،
وما زلتُ في دهشتي غارقةً،
أذاكَ الذي قتلَ قلبي، هو نفسُهُ من أحببتُ؟

فجاوبني... قُلْ إنّك رميتَ بسيفٍ قاطعٍ،
وابتسمْ، وارفعْ رايتَكَ مكلَّلةً بدمي،
فلعلَّ الدهرَ يدورُ عليكَ،
فتبكي ندماً كما بكيتُ،
على حبيبةٍ أهدتْكَ من روحِها إكليلَ وردٍ وعنبرِ،
كنتَ بيديها ملكاً، وصرتَ الآنَ خائناً عابراً!

ابكِ علينا،
وابكِ على حكايةٍ .
بُترتْ قبلَ أن تبدأ،
على حبٍّ جفَّ كأوراقِ الخريفِ وتناثرَ،
على قلبٍ كانَ لكَ وطناً فمزَّقتَهُ بلا رحمةٍ،
ابكِ على عهدٍ خُنتَهُ،
وعلى وعدٍ كنتَ أوَّلَ من كسرهُ،
فلعلَّ الدمعَ يطهِّرُ روحَكَ كما لم يُطهِّرْها الحبُّ!

في انتظار الفرج

ما زلتُ أنتظرُ الفَرَجَ...
من نافذةٍ لا تفتحُ إلّا على الغيمِ،
من ربِّ سماءٍ
تبكيني حينَ أبكي،
وتضمُّ أنيني إذا ما خفَتْ ضجّتي في المساءْ.

هل كلُّ هذا الذي أعيشهُ... كان وَهْماً؟
هل كنتُ ظلًّا لحُلمٍ تكسَّرَ
على ساعدي؟
هل كنتُ صوتاً
ينادي على الصبحِ
من فجوةٍ في الهواءْ؟

أيا ليلَ قلبي،
أما آنَ أن تُطفئَ الموتَ في مقلتيّ؟
أما آنَ أن تُسكتَ الدمعَ؟
أن تكسرَ السُّهدَ؟
أن تتركَ الجرحَ يستقوي بالنورِ؟
أن يمنحَ الفجرُ بعضَ الضياءْ؟

يا ربَّ السماءْ...
أهذا البلاءُ امتحانُ الرجاءِ؟
أم التيهُ؟ أم أنّها كبوةُ الضوءِ
في درينا؟
سنينٌ تهاوتْ
على كتفيّ كأثقالِ صمتٍ،
ولا زلتُ أمشي،
وأحملُ أُمّي، وأحملُ خوفي،
وأحملُ وجهي البعيدَ...

كأنّي "أناىَ" نسيتُ ملامحَها،
واختبأتُ وراءَ البكاءْ.

ما كانَ بالأمسِ حُلماً
تحوَّلَ كابوسَ موتٍ،
وصارَ المدى موحشاً
مثلَ قبرٍ يُقامُ على آخرِ النبضِ
في قلبِ ماءْ.

أكادُ أصرخُ في الليلِ:
"أما من ضِياءْ؟
أما من يَدٍ
تمسحُ الوَجعَ عنّي؟
أما من وطنٍ
لا يبيعُ الأمانَ بدمعِ النساءْ؟"

أيا ريحَ روحي...
تعالي،
انفخي في رمادي الحياةَ،
وفي شفةِ الانتظارِ
ازرعي قُبلةَ الرجاءِ.

دعيني أُؤمنُ
أنّ النهاياتِ ليستْ سوى أوّلِ الضوءِ
في عتبةِ الهاويةْ،
وأنّ الليالي التي أكلتني
سَتورقُ منها البداياتُ...
رغمَ الخواءْ.

ما زلتُ أرجو،
وما خانَني صوتُ دعواتِ قلبي،
فربُّ السماواتِ أقربُ
من حزنِ عيني،
وأحنُّ إليَّ

من الأمنياتِ التي لم تُقالْ.

سيُشرِقُ صُبحٌ...
ولو طالَ سُهدي،
ستُزهرُورداتُ قلبي
ولو جفَّ مِدادُ القصائدِ.
وسيمضي الكابوسُ كالدخانِ،
كظلٍّ تساقطَ في اللازمانْ،
وسأمضي..
أحملُ حُلْمي،
وأحيا...
وأحيا بالرَّجاءْ.

لحنُ القلوبِ الضائعة

ما أوجعَ الحبَّ في دنيا بلا وطنْ،
فيها العناقُ جحيمٌ، مسَّهُ كَفَني،
أحببتُ حتى غدا قلبي معابدَهُ،
ضوءٌ يُسبّحُ في بحرٍ منَ الشجنِ.

ناديتُهُ، لم يُجب، كالأمسِ راحِلُهُ،
يسري بعيداً كطيفٍ في مدى الظَنَنِ،
يا للمفارقةِ الكبرى التي عجزتْ،
عن الفكاكِ من الأضدادِ والمحنِ.

نهوى الرحيلَ، ولكن حين يخذلُنا،
نغدو عبيداً لأطيافٍ من الحَزنِ،
نهفو لقُربٍ، ونرنو للهوى عبثاً،
وإن دنونا، احترقنا تحت نارِ فَني.

قد نرتجي بسمةً تأتي فنفقدها،
ونستطيبُ الأسى كالوهمِ في الزمانِ،
نسعى إلى الحب، والأوهام تعصفُنا،
نهوي إليه فنُبنى فوقَ مرتهنِ.

فهل جنونُ الهوى ضعفٌ يُمزّقنا؟
أم أننا في حريقِ الشوقِ كالوثنِ؟
أم أن كلَّ هوى لم يُحتضن غدا،
ريحاً تُبعثرُ أصداءً من العَنَنِ؟

يا حبُّ، ما أنت إلا سرُّ غربتنا،
ما بين خوفٍ، وحرمانٍ، ومرتهنِ،
إني تساءلتُ، هل الحبُّ مذبحةٌ؟
أم أنه مهدُ قلبٍ نازفِ البدنِ؟

إن كان للحب أوهامٌ نطارِدُها،
فالعمرُ في عاصفِ الأشواقِ لم يكنِ،
يا ليت قلبي ما خاض الضياع به،
يا ليت ما ذاق إلا فرحةَ السكنِ!

يا قلباً صابراً في زحامِ الليالي،
لا تَلُمْ ما مضى، فالدمعُ روايةٌ،
ترويها النجوم حين يضمُّها السُرى،
وتُهمسُ للريحِ عن حكايةِ نهايةٍ.

ألا ترى كيف يزهرُ الألمُ أغنياتٍ،
ويحيلُ الصمتَ إلى صدى صرخةٍ؟
كيف يكون الشوقُ موطني، وكيف أحتملُ
ذاك الفراغَ الذي يلدُّ المنى والهزيمة؟

أحببتُ... كأنني أطيرُ في سجنٍ،
أنادي على حبٍ قيدُه لا يُفكُّ،
غُربةُ قلبٍ أشرق في عتمةٍ،
وشمعةٌ تنطفئُ كلما أقبلَ الفجرُ.

كم من الليالي جلستُ أراقبُ النجوم،
أتلو أسرارها على شفتيَّ الهامسةِ،
أحكي لها عن حبٍ لم يزل في قلبي،
يخفقُ، رغمَ الفراقِ، رغمَ الندمِ.

يا لحنَ القلوبِ الضائعةِ في الصمتِ،
يا قصةَ الهوى التي لا تنتهي،
يا طيفاً لا يفارقني في المنامِ،
يا وجعاً يسكنني رغمَ الانفصالِ.

سأمضي،
سأحملُ نيراني في قبسِ الحنايا،
سأزرعُ أزهاراً من دموعٍ ذكيةٍ،

وسأبني على ركامِ العشقِ قصري،

حتى يعود الحبُّ...

لحناً حيّاً في سماي.

هكذا قالت عشتار...

إن كنتَ باسمِ الحبِّ أوجعتَني

فماذا تفعلُ لو تكرهُني؟

إذا كانَ وَصْلُكَ سهماً دَماً،

فكيفَ الفِراقُ؟ وكيفَ الضَّنَى؟

وقفتَ كطيفٍ على ناصعي

تُرتِّلُ كذبَكَ في مسمعي

وعيناكَ بحرٌ به أغرَقُ،
كأنِّي بجرحِكَ لم أُبْدِعِ!

سَلَكْتَ دروبَ الجحيمِ معي،

وكنَّا الهوى في كتابِ النَّوى،

وكنتُ أظنُّكَ نهرَ الهدى،

ولكنَّ قلبي غداً في الظَّمَا.

سرقتَ الأمانيَ من مهجتي،

وجِئْتَ بكفِّ الخداعِ النَّدِي،

تُسائلني: "هل أُحبُّكَ بعد؟"

وهل يستقيمُ الجنونُ النَّدِي؟

فيا قاتلي حينَ كنتَ الحبيب،

ويا حزنَ روحي إذا ما تغيب،
سأسألُ دهري: بأيِّ ذنبٍ
زرعتَ السِّكاكَ بقلبي الغريب؟

إذا كانَ جُرمُكَ هذا الهوى،
فكيفَ الجحودُ؟ وكيفَ الجفاء؟
وكيفَ يكونُ جفافُ الدموعِ،
إذا كانَ دمعي ندى في الفضاء؟

فقالتْ عشتارُ وقد أوجعَتْ،
كلامي جِراحٌ ونبضي شَتَاتْ،
"إذا كنتَ باسمِ الغرامِ تُعِدْ،
فكيفَ إذا كنتَ يوماً تُعَادِي؟"

وأدبرَتِ الحُبَّ دونَ ارْتِدَادْ،
كأنَّ الجِراحَ غُبارٌ يُبَادْ،
وأبقتْ بقلبي رمادَ الوعودِ،
يُحاكي البقايا، يُنادي الرَّمَادْ!

رحلةُ الضياعِ والبحث

تائهةٌ كالغيمِ في مَهَبِّ الريحِ،
أجرُّ ظلّي على الأرصفةِ الكئيبةِ،
أعبرُ بين الوجوهِ كطيفٍ عابرٍ،
لكنّي لا أعرفُ مَن أكونُ،
ولا أين يبدأ وجهي... وأين ينتهي؟

أحملُ معي بقايا ماضٍ بعيدٍ،
صوراً باهتةً لمنازلَ قد رحلت،
أسماءً نُقشت في قلبي،
وأحلاماً تيبَّست كورقِ الخريفِ،
سقطتْ على رمالِ العمرِ، لا تعرفُ الرجوعَ.

أسيرةٌ وحيدةٌ كنجمةٍ شاردةٍ،
تحدّقُ في العتمةِ تبحثُ عن مجرّتها،
ألمسُ وجهي في عيونِ العابرين،
فلا أرى إلا وجوهاً باردةً،
ولا أسمعُ إلا صمتاً يشبهُ صمتي.

أبحثُ عن يدٍ كانت تمسك بيدي،
عن دفءِ كفِّ أمي حين كنت أرتجف،
عن ترابٍ حفظ خُطى آبائي،
وعن وطنٍ كان لي بيتاً،
فتحولَ حلماً في منفى النسيان.

يبكي قلبي، ولا أحد يسمع،
تصرخ روحي، ولا صدى يُجيب،
كأنني طائرَةٌ جريحةٌ فقدت جناحيها،
وكأن الأرضَ لا تعترف بخطواتي،
وغاب القمرُ عن لياليَّ الخالية.

لكنّي لستُ النهاية،
ولا حكايةً تموت بالفقدان،
أنا شرنقةٌ تحضنها الحياة،
أنتظر انبثاقي، أتهيأ للطيران،
كفراشةٍ تلوّن السماء بعد العاصفة.
سأجمعُ ما سُلِب مني،
سأرسمُ سمائي بيدَيَّ،
وأحملُ وجهي الذي أضاعوه،
وأبحثُ عن ذاتي... حتى أجدها،
وأعيدُ للحلمِ نبضه القديم.

كم من ليالٍ جلستُ أتأملها،
أُحدثُ النجوم عن همومي الدفينة،
أغزلُ من حزن الليل أملاً،
وأرسمُ من دموع الألمِ أجنحةً،
أطير بها فوق ركامِ الأحزانِ الثقيلة.

وأيّ يومٍ يأتي، يحملُ في يديه النور،
تتفتحُ فيه زهورُ قلبي المنسية،
وتغني الطيورُ أغنياتٍ منسية،
تروي قصة امرأةٍ لم تنكسر،
بل انطلقت تلامس السماء بحلمها.

سأشقُّ طريقاً وسط الظلمات،
أطردُ العواصفَ وأكسرُ السلاسل،
أبني من رماد الألم قصوراً،
أجعل من قلبي ناراً تضيء العتمة،
وأصنعُ من كبريائي جناحين للطيران.

يا نفسي، لا تيأسي، لا تستسلمي،
فالحياةُ تبدأُ حيث ينتهي الألم،
والضياعُ يولدُ منه البحثُ،

والحلمُ يزهرُ ..
رغم كلِّ السقوط،
وأنا هنا...
أقفُ،
أقاوم،
وأنتصر.

همسُ الفقدِ ونداءُ الغيابِ

في ليلِ العتمةِ حيثُ تغفو النجومُ،
تُسافرُ روحي بينَ أسرارِ الصمتِ والكلامْ،
تنحتُ على جدرانِ الغيابِ ذكرياتي،
وأُهدهدُ قلبي بأحزانٍ تُرخي الأوهامْ.

يا مدينةَ الوداعِ، كم رويتِ من دمعي،
وسقيتِ أزقَّتكِ بأحلامٍ ماتتْ بينَ الحُجُبْ،
كانت لي هناكَ بقايا فجرٍ لم يولدْ،
ونفَسِي تساقطَ كأوراقِ الخريفِ السُرابْ.

أهتفُ في صمتِ الغربةِ، لا صدى ولا ردّ،
تُطاردني أطيافُ وجوهٍ نسيتها،
تحتضنني الريحُ بحنانِ السَّرابِ،
وتُهيمُ بي قلوبٌ ما عادتْ لي ولا تنتمي لي.

أذكرُ طفولتي هناكَ، في ظلِّ شجرةٍ هامدة،
حيثُ العصافيرُ كانت تُغنّي على شفا الفجر،
والأرضُ ترقصُ بينَ أصابعِ قدميّ،
لكنّ الزمانَ عبثَ فأصبحتُ غريبةً في ذاتي.

يا ليتَ القلبَ ينسى... لكنّ الذاكرةَ أعمقُ،
تُعزفُ ألحاناً حزينةً على أوتارِ الألمِ،
تُعيدني إلى حيثُ كلُّ شيءٍ كانَ جميلاً،
قبلَ أن يغدو الصمتُ نهراً لا يجري،
وقبل أن تذبلَ الورودُ في صحراءِ الغيابِ.

أحملُ بينَ يديَّ قصصاً لم تُروَ،
وأمشي فوقَ حطامِ زمنٍ أضاعني،
كلُّ خطوةٍ صدى حلمٍ يتحطمُ،
وكلُّ نظرةٍ حكايةُ وطنٍ فقدتهُ.

أحنُّ إلى وجهٍ ظلّ يبتسمُ في العتمة،
وإلى صوتٍ كان يُغنّي للأملِ من جديد،
لكنّ صمتَ الريحِ صارَ أعظمَ صوتٍ،
ونبضُ قلبي صارَ أضعفَ من نداءِ الغريبةِ.

في كلِّ مساءٍ أرسمُ في السماءِ طيفك،
وأزرعُ من دموعي ورودَ اشتياقٍ،
أريدُ أن أكونَ لكَ وطناً،
لكنّي بقيتُ بينَ أطيافِ الحزنِ،
أتنفسُ وحدتي وأحيا في مرآةِ الغيابِ.

يا قلبي الذي لا يعرف الراحة،
هل من ملجأٍ بعد هذا الألم؟
هل من فجرٍ بعد ليلٍ بلا نجوم؟
أم أن العمرَ عبثٌ سرعان ما يُنهي الحكاية؟

لا أريدُ سوى أن أحبَّ بلا حدود،
وأعيشَ في حضنِ الحياةِ دونَ جراح،
لكنّ الحزنَ ثوبٌ لا يُنزَعُ عن الروحِ،
والألمُ نهرٌ لا يتوقفُ عن الجريانِ...

سأبقى أكتبُ عنكَ حتى لو أُغلقت كلُّ الأبواب،
سأرسمُ وجهَكَ في لوحةِ العمرِ،
وسأغني للغروبِ الذي لم يأتِ،
للعشقِ الذي ماتَ في صمتِ الليالي،
وللوطنِ الذي ضاع بينَ النسيانِ والدموعِ.

امرأة في المنفى

كانت هناك...
في آخر الخريطة،
تسند رأسها على كتف الريح،
وتكتب للغائبين قصائد من ندى الغياب.
كانت هناك...
والنافذة في المنفى تُشبه قبراً مضاءً بحلم الطفولة،
والأرض كأنها وطن من شظايا الصور.

قالت:
"أنا امرأة لم تلدها البلاد، بل المنافي،
أحمل في يدي جواز سفر مبتلًّا بالحنين،
وفي قدميّ طريق يعود ولا يصل،
أنا التي زرعت في بستان الله أنينها،
وما أثمرت سوى الأغاني المشوَّشة في المقاهي البعيدة."

كل شيء من حولها
يغني بلغات لا تعرف حروفها،
والزمن في عينيها
ساعة مكسورة العقارب،
تمشي وتبكي،
وتضحك كي لا تنسى كيف كان اسم الرغيف في لغتها الأم.

في حقيبتها:
رغيف يابس من قريتها،
صورة أم تلوح على باب التنور،
وشال مطرَّز بخيوط الضوء من يد جدتها،
ودفتر عليه:
"هنا كان بيتي،
هنا كنت اسمي،

وهناك... كنت أنا."

كل صباح،
تسقي ظلها بكأس الانتظار،
تسأل الجريدة عن بلاد لا تذكرها الأخبار،
وتعود إلى الشرفة،
تعد الغيم كأنها أسمى أمانٍ وحيدة...
ثم تنام.

ليلاً،
يحملها الحلم إلى بيت بلا أبواب،
إلى صمتٍ واقفٍ كالجبل،
وإلى ضحكةِ الأم،
كأنها لاجئةٌ في جسد الذاكرة.

"أنا امرأة من ماء وعودة،
أنا ظل وطن لا يعترف بي،
أنا المنفية قدراً ..
أرضي ولدٌ مذبوح..
وصوتي بحةُ وطنٍ يصرخ في نوم الحكام.

أحياناً
ترقص مع ظلها في غرفتها،
تغني للحائط،
تقبل صورة جوازها،
تقول له:
"سنعود...
ولو عبر نخلة تحملنا،
أو جنازة تغني لنا."

هي في المنفى،
لكن الوطن فيها يشبه الجرح إذا برئ،
ينفتح من جديد كلما جاءها صوت من جهة الأغاني،

كلما مرت قبيلة من الكلمات القديمة.

"أكتبني كي لا أموت،
وأغني كي لا أنسى أنني كنت خبزاً،
كنت صلاة،
كنت أنثى تنبت من تراب الوجع،
وكنت سماء لوطن لا يُرى،
لكنّه في داخلي... لا يزول."

فإذا سألتم عنها،
قولوا:
"هي امرأة تحمل المنفى في حقيبتها،
وتوزّع أوطاناً صغيرة على الورد،
وتبكي."

قولوا:
"هي التي تشبه الغيمة،
تأتي،
ولا تنزل."

أيا حمامة...

أيا حمامةَ شوقي، حلّقي زُرقَ الجناحِ،
واحْمِلي وَجداً دفيناً في دموعي والنَّواحِ.

كنتِ للسِّلمِ نداءً، وللحربِ العَنان،
في سماءِ المجدِ فخرٌ، في الميادينِ الأمان.

رفرفي، فالكونُ يدري أنَّ أجنحتَكِ دَمع،
كلُّ ما في الأرضِ يُصغي حينما يحكي الغَرامُ.

طيري إلى وطني الحبيبِ، إلى الرُّبى،
حُبُّهُ يجري بقلبي مثلما يجري الغَمامُ.

سيري على النَّجمِ المُضيءِ، وجُوِّدي وصلاً جميلا،
واحْمِلي عنِّي سلاماً ضُمَّ في العينِ، وخَطَّتهُ الأنامُ.

بلّغي أهلي سلاماً، قُولي للدارِ العتيقةْ،
إنَّ روحي ها هُنا، لكنَّ أشواقي سحيقةْ.

قُولي للأحبابِ إنِّي ما نسيتُ العهدَ يوماً،
وإذا غابوا فإني في رؤاهم لن أغيبَ.

سيري بأجنحةِ السَّحابِ إلى النَّخيلِ إلى البيوتِ،
حيثُ صوتُ الأهلِ يُسْمِرُ، حيثُ دفءٌ لا يموتُ.

قبّلي الأرضَ التي رُوِّيَتْ بدمعِ العاشِقينا،
قبّليها، وانثري عِطري بأزقَّةِ المدينا.

واذكري للزَّهرِ عنِّي أنَّني ما زلتُ أحلُم،
أنَّني رغمَ الجِراحِ، بحُبِّها دوماً أُسلِّمْ.

يا حمامَ القلبِ سيري، في الفَضا سيري طَويلاً،
وامسحي جُرحاً قديماً، وازرعي حُبّاً جَميلاً.

سيري، لا تخشَي مَداراً، لا تلومي في هَوايا،
فأنا إنْ متُّ شَوقاً، سوفَ أُحيا في رُؤايا!

أيا حمامةَ صدري...

أيا حمامةَ صدري، لا تطيري وحدَكِ في ليلِ الغياب،
فأنا جناحُكِ المكسورُ..
ودفءُ الريحِ ..
حينَ تعبرينَ الغيمَ مُثقلةً بالسحاب.
أنا الظلُّ الذي يسبقُكِ إلى القُرى،
والدمعةُ التي تبلّلُ ريشَكِ حينَ يخذلُكِ الضباب.

لا تسألي عن وجهي في مرايا الشوق،
فقد أضعتُ ملامحي في أوّلِ وداع،
حين انكسرَ الباب،
وغابَ الحبيب،
وتهجّرتِ الحكاياتُ من وسادةِ أمي.

أنا التي خبّأتُ صوتهُ تحتَ وسادتي،
وكلّما حاولتُ النوم... غفوتُ على أنينه،
أنا التي أمسكتُ برسالةٍ لم تكتمل،
وكتبتُ في الهامش:
"هل ستعود؟
أم أظلُّ أنا فقط، أرسمُ الوطنَ على كفّي؟"

أيا طائرَ دمي...

كنتُ امرأةً من قمحٍ وماء،
من رائحةِ الخبزِ ..
حينَ يُخرجهُ الفجرُ من الأفرانِ القديمة،
من نافذةٍ لا تزالُ تُفتحُ لصوتِك،
ومن بيتٍ لم يُغلَقْ بعدُ على غيابِك.

طيري، لكن لا تنسي أن تقولي لهم إنني
ما زلتُ أتركُ الشاي يغلي على نارِ الانتظار،
وأنني علّقتُ على حبلِ الغسيل

ثوبَ العُرس... منذ سبعِ سنين.

قولي لهم:
إنّ شعري لم يَشِخْ،
لكنّ المشطَ الذي أهديتني إيّاه
بكى حينَ مررتُ به على كتفي.
قولي لهم:
إنّ ثغري لم يعُد يعرفُ الضحكَ،
إلا حينَ أقرأُ رسائلَك القديمة.

أيا حمامةَ الليل...

مرّي من فوقِ المدائنِ التي لا تنام،
واغرفي لي شيئاً من لغتي المكسورة،
فقد نسيتُ نُطقَ اسمِه،
إلا إذا نادى القمرُ قلبي،
أو كتبَ المطرُ سيرةَ عشقٍ على زجاجِ النافذة.

قولي له:
إنني لم أُبعِد مرآتي عن سريره،
ولا انتعلتُ غيرَ الصبرِ في كلِّ صباحٍ يعبرُني،
ولا ارتديتُ سواه،
ولا غفوتُ دون أن أُغمضَ عينيّ على طيفه.

طيري إليه...

طيري إليه كما تطيرُ الأغنيةُ إلى طفلٍ يتيم،
كما يعودُ الضوءُ إلى عينِ الكفيفِ حينَ يذكُرُ اسمَ أمّه.
طيري إليه،
وقولي له:
إنني امرأةٌ لا تُغلَب،
لكنها تضعفُ إن غاب،
وتقوى حينَ تكتبُ له.

قولي له:
إنّ الشوقَ نهرٌ لا يُجفّفُه صمت،
وإنني على ضفّتيهِ
أنحتُ قلباً من صبر،
وأُوشّحهُ باسمِك.

يا طائرَ قلبي...

هل يقرؤني؟
هل يعرفُ أنني أكتبُ تحت المطر؟
وأنّ يدي ترتجفُ كلما أردتُ أن أكتب: "اشتقتُ إليك"؟
وأنّ الدمعَ ليس ماءً،
بل وطنٌ سائل،
يحفظُ المدى حينَ يُنسى.

قولي له:
أنا لا أبكي،
أنا فقط أفيضُ منّي حين يغيب،
أنا لا أنتظر،
أنا فقط أعيشُ على حافةِ لحظةٍ يعودُ فيها إليّ.

أيا حمامةَ القلب...

قبّلي يديه حينَ تلقينَه،
فهو ما زال في قصيدتي،
وفي صلاةِ أمي،
وفي رشفةِ الماءِ من يدِ أختي،
وفي زرقةِ البحرِ حين أشتاق،
وفي سعالِ أبي،
وفي كلّ شيء،
كلّ شيء...
إلا الحضور.

إذا مُتُّ قبله،
فخبّريه أنني كنتُ له
كلَّ نساءِ الحنين،
وأنني ما عرفتُ من هذا العالم
غيرَ رائحةِ صوتِه،
وضوءِ يديه...
حين كتبني امرأةً لا تموت،
ولو ماتَ الوطن.

أيا حمامةَ الأمل ...

هل سمعتِ صوتي حين ناديتُكِ من شقوقِ القلب؟
أم أنّ الغيابَ أعلى من صراخي؟
كنتُ ألوّحُ بثوبي المبلّلِ بالشوق،
أُحرِقُ حطبَ الانتظارِ كلَّ مساء،
ولا يجيء...
لا هو، ولا الوطن.
أنا التي خبّأتُ رسائلَهُ تحتَ وسادةِ النسيان،
ثم انكفأتُ كلَّ ليلةٍ أفتّشُ عن أنفاسي فيها،
فلا أجدُ سوى غبارِ الرحيل،
ووشمَ سؤالٍ لا يذوب:
"لماذا تأخّرت؟"

أيا حمامةَ الصوت ...

أخبريه... أنني لم أضع الزينةَ منذ رحل،
وأنّ يدي فقدتْ معنى الزينة،
وأنّ عيديَ الوحيدَ،
هو حين أتذكّرُ كيف كانَ يضحكُ بعينيه،
وكيف كان يقولُ لي:
"لا تخافي، كلّ الحروبِ ستنتهي،
إلّا حبّي لكِ."

قولي له:
إنّ الحربَ انتهت،
لكنّني ما زلتُ أُقاتلُ في وحدتي،
وأكتبُ شعراً بأسلحةٍ مكسورة،
وأضمّدُ جرحَ الوطنِ
بضمادةٍ من الحنين.

أيا طائرَ الأغاني...

كنتُ له الوطن، وكان لي القصيدة،
كنتُ له المطر، وكان لي الغيمة،
كنتُ له الملاذ، وكان لي الطريق،
فلماذا تُغلَقُ الطرقُ حين نُحبّ؟
ولماذا لا تعودُ الغيماتُ
إلّا بعد أن تيبسَ قلوبُنا؟
أنا ما نسيت،
ولا كففتُ عن رسمِ اسمهِ
على الأبوابِ المهجورة،
ولا تعلّمتُ أن أكون،
إلّا حين أحببتُه،
فإذا غاب... من أكون؟

أيا حمامةَ السماء ...

طيري إليه،
وخبّريه أنّني ما زلتُ أدفنُ رأسي
في وسادةِ الليل،
أبكي دون صوت،
كأنني لا أريدُ أن أُفسدَ هدوءَ السماء.
قولي له إنني ما زلتُ أحيا
على رغيفِ الذكرى،
وأنّ الجوعَ إليه،

جوعُ الروحِ إلى نفسها.
بلّغي الحقولَ أنني ما زلتُ أزرعُ قُبلتي في تُرابِها،
علّها تنبتُ يوماً على شفتيه،
بلّغي النوافذَ أن تُفتح،
فقد يعودُ ذاتَ نسيمٍ...
من غيرِ موعد،
كما تفعلُ الأغنياتُ التي ننسى، ثم تُدهشنا.

أيا رسولَ الشوق ...

قولي له:
إنني ما زلتُ أكتب،
لا لأُشفى،
بل لأُذكّرهُ بي،
أنا التي مررتُ ذات مساءٍ على قلبهِ،
وتركتُ عليهِ نهدةَ امرأةٍ لا تُنسى.

قولي له...
إنني لن أتزوّج،
لأنّه وعدني بالعودة،
ووعدُ العاشقِ في قلبي
كقسمِ الراحلين...
لا يُكسر،
حتى لو طالتِ الفصول،
وجفّتِ الأشجار،
وتغيّرَ العُمر.

إن مررتِ على قبرِه،
فلا تبكي،
بل أنشدي:
"هنا نامَ جسدٌ،
لكنّ قلباً ما زالَ يطيرُ كلَّ مساء،
نحو نافذتها."

وإن مررتِ على قبري،
فقولي له:
"نامتْ ..
وفي عنقِها اسمه،
وفي يديها رسالته،
وفي حلمها...
لقاءٌ لم يحدُث،
لكنّه ..
ظلّ أجملَ من كلّ الواقع."

ماتَ بمحرابِ عَيني

ماتَ بمحرابِ عَيني،
حينَ تساقطَ الضوءُ على ملامحهِ البعيدة،
حينَ انكسرتْ في عينيهِ مرايا الوقتِ،
وغافلتْهُ ريحٌ تسرقُ الوجوهَ من الذاكرةِ،
ثمَّ ترحلُ دونَ أثر.

كانَ هنا...
يشبهُ المطرَ ..
حينَ يُولدُ من رحمِ الغيمِ،
يشبهُ الطفولةَ ..
حينَ تركضُ حافيةً على عتباتِ الدهشة،
كانَ هنا...
لكنَّهُ الآنَ ظلٌّ يُنادي الفراغَ،
وصوتٌ تلاشى كأنْ لم يكن.

مددتُ يدي إليه،
فلم تُصافحْ إلا سرابَ صوته،
كانَ يختبئُ في تفاصيلِ الأشياء،
في رعشةِ الكأسِ حينَ يشتاقُ لأصابعه،
في ارتعاشةِ الستائرِ حينَ تُداعبُها أنفاسُه،
في المساءِ حينَ يسألُ عن طيفِه،
ولا يُجيبُ إلا الصدى.

ماتَ...
لكنَّهُ يسكنُني كجرحٍ قديم،
كأغنيةٍ عالقةٍ في ذاكرةِ الليل،
كرائحةِ المطرِ على نوافذِ تشرين،
كحزنٍ لا يشيخُ،
وكحُبٍّ يرفضُ أن يكتمل.

سُكراتُ الغدرِ وعزاءُ القلب

كيف سهوتَ عن عهد الهوى وانقلبتَ؟
وكيف أحرقتَ أوراقَ الأملِ وارتحلتَ؟
يا مَن زرعتَ في روحي أزهارَ وعدٍ،
ثم عدتَ لتحصدها بيدٍ لا ترتجفُ!

أيُّ سهمٍ ذاكَ الذي صوبتَهُ،
فانشطرَ الفؤادُ، وسالتْ دماهُ كالمطرِ؟
أما علمتَ أنَّ الجرحَ في القلبِ نداءٌ،
يصرخُ باسمكَ في الليالي القاحلةِ؟

كنتَ بدراً في سماءِ العمرِ يسري،
فكيفَ أضحتْ عينُكَ ظلمةً قاتلة؟
أما كنتَ تهمسُ لي أنَّ الهوى خلودٌ،
فأيُّ لعنةٍ جعلتهُ رماداً متطايراً؟

أنا مَن وهبتُكَ عمراً وأجنحةً،
فلماذا اخترتَ أن تطعنني وأنا أنثرُ لكَ الوردَ؟
أما كنتَ الأقربَ إلى روحي،
فكيفَ صرتَ أبعدَ من سرابٍ في صحراءَ؟

سأحملُ جرحي كما يحملُ البحرُ أسرارَهُ،
وأجعلُ من دمعي نهراً لا يجفُّ،
سأقفُ رغمَ الطعنةِ، رغمَ الانكسارِ،
وسأروي للأيامِ أني عرفتُ الغدرَ وجهاً لوجهِ!

يا مَن قتلتَ حكايتَنا قبلَ أن تولدَ،
تذكَّرْ بأنَّ الأقدارَ لا تنسى،
وأنَّ الغدرَ كأسٌ يدورُ كما يدورُ الفلكُ،
فارتقبْ ساعةً تشربُ فيها من ذاتِ الكأسِ مُرّاً!

نصفُ حياةٍ... نصفُ ضياع

نحيا بنصفِ الحياة،
نصفٌ تذروهُ الريحُ على دروبِ النسيان،
ونصفٌ يترنَّحُ فوقَ الورق،
كقصيدةٍ لم تكتمل،
كحُلمٍ سقطَ قبلَ أن يُزهِرَ في بساتينِ الأمل.

نصفُنا ظلٌّ يتبعنا،
يهيمُ على الأرصفةِ كالغرباءِ،
يسألُ الوجوهَ العابرةَ عن أسمائها،
ويبحثُ في العيونِ المطفأةِ عن وطنٍ
ينامُ في الأحداق.

نصفُنا الآخرُ حبرٌ مسفوك،
يتسرَّبُ بينَ السطورِ،
كأنَّهُ لم يكنْ يوماً صرخةً
في صدرِ القصيدة،
كأنَّهُ لم يكنْ وجعاً
يُسافرُ في خرائطِ الكلام.

نصفٌ يركضُ وراءَ الزمن،
يلتقطُ بقايا العمرِ المبعثرةَ في الأزقة،
يرسمُ وجوهَ الراحلينَ على نوافذِ الغياب،
ثمَّ يتركُها هناك...
لتمحوها الريحُ من ذاكرةِ الزجاج.

نصفٌ يطفو فوقَ المرايا،
يحدِّقُ فينا بعينَيْ دهشة،
يُحاولُ أن يفهمَ:
لماذا تكسَّرنا هكذا؟
لماذا صارَ العمرُ شظايا

لا يجمعُها أحد؟

نصفُنا بحرٌ بلا شاطئ،
يسافرُ في اتساعِ المجهول،
يُلاحقُ قمراً غارقاً في العتمة،
ويبوحُ للنجومِ بأسرارِه،
لكنَّ السماءَ صمَّاءُ...
لا تُجيب.

نصفُنا الآخرُ قصيدةٌ مُهملة،
هامشٌ في دفترِ الأيام،
يُغنِّي في زحمةِ الصمت،
ويرقصُ وحدهُ
في مهرجانِ الوحدة.

فيا أيُّها العمرُ الناقص،
متى يكتملُ هذا الحنين؟
متى نكونُ حياةً مكتملةً،
لا ينهشُها النصفُ الآخرُ من الضياع؟

أمي التي قسمت معي الأوجاع

أماه،
أنتِ الأرض التي ضاعت في سمائي،
وحين أنظر في عينيكِ، أرى الرياح تُغني قصتي.
لكِ وحدكِ، بين يديكِ،
تتلاشى الجغرافيا، ويُسجن الزمن في حضنكِ.

أماه،
يا نبعَ الحياة الذي ارتوى من عطشنا،
ويا بردَ السنين الذي شملنا بلا حدود.
كيف أروي ليلكِ من فمي، وأنا صمتٌ عميق؟
وكيف أكتب حرفاً وأنا في بحر دموعكِ أغرق؟
كل شيء كان يزهر حينما كنتِ تضحكين،
وأصبح الحزن ..
وحده يخطو في دروبي بقدمين عميقتين.

أماه،
كنتِ شمساً تمد ذراعيها لي،
أما الآن ..
فأنا السحاب الباكي الذي يلوح في الأفق،
يحاول أن يعود إليكِ، لكنه دائماً بعيد.

سأظل أبحث في الأمواج عن وجهكِ،
أدعو أن يتبدد الضباب،
وأن أعود إلى تلك الزهور التي كنتِ تزرعينها في قلبي.
سأحمل كل الذكريات في قلبي كأعاصير،
أريد أن أسترجع صوتكِ في كل لحظة مفقودة.

أماه،
كيف لي أن أحكي عن غيابكِ وأنا لا أزال أعيش فيه؟
كيف لي أن أهدأ وأنتِ رائحتكِ تبتعد عني،

كما يبتعد الندى عن الزهور عند أول شروق؟

لكن، يا أمي،
سأظل أكتب لكِ بالدماء التي تجري في عروقي،
وبالأحلام التي لم تكتمل،
سأظل أعد الثواني ليوم أعود فيه إليكِ،
حتى لو كانت الأيام تذوب،
حتى لو كانت السماء تبكي على كل غيمة.

سأعود،
ولو كان في العودة ثمنٌ باهظ،
ولو كان الطريق مغلقاً بكل الجروح،
ستظل أنتِ النور الذي يضيء لي الفضاء.
أماه، سأعود إليكِ،
ولو كانت العودة سكناً في أعماق الذاكرة.

أمي

أمي، يا من في حضنك الحياة تُحاك،
وفي عيونك تتناثر النجمات وتزدهر الأفلاك.
يا نبع الحُب الذي لا ينضب أبداً،
يا نبض قلبي الذي يبقى على مر الزمان حيّاً.

أمي، يا لحناً يعزف في قلبي بلا انقطاع،
يا لؤلؤةً أضاءت سماء الأيام بضياء.
أنتِ الغيمة التي تحتويني في عواصف الزمان،
وأنتِ الزهراء التي تفرح الأرض بعبيرها بعد المطر.

أمي، يا مرسى السلام في بحر حياتي الهائج،
يا قلباً ينبض بالعطاء والأمل، مهما كانت الرياح.
أنتِ الحلم الذي يحتويني كلما غرقت في بحر الواقع،
وأنتِ الوردة التي تفتح في القلب رغم العواصف.

منذ أن كنت في رحمك، وأنا في سلام،
وعندما خرجتُ إلى هذا العالم، كنتِ السّلام.
أمي، كيف يمكن للبحر أن يشرح أعماقه؟
وكيف يمكن للنجم أن يصف سطوعه في السماء؟

لقد كنتِ لي السند في كل المحن،
وحينما اهتزّت الأرض من تحتي، كنتِ الثبات.
كنتِ كما الزهور التي لا تذبل مهما مرّ الزمان،
وكنتِ كما الجبل الذي لا يهتزّ مع العواصف.

أمي، يا من كنتِ تعلميني كيف أبتسم،
وفي كل لحظة صمت، كنتِ تَحدثيني بعينكِ.
أنتِ الحضن الذي احتوى طفولتي بحنان،
وأنتِ الأمل الذي زرعته فيّ حتى صار شعاعاً.

كم من مرة كتمتِ أنفاسكِ لأجلي،
وبذلتِ كل شيء، ولكنكِ أبقيتِ قلبكِ كبيراً.
كنتِ ترسمين الفرح في أيام الهم،
وتجعلين من كل فجرٍ بداية أمل جديد.

أمي، أنتِ أغنيتي، وأنتِ قصيدتي،
وأنتِ الحروف التي تكتب لي الحكايات.
أنتِ اليد التي مسحت دموعي،
والعقل الذي علمّني كيف أعيش وأحبّ الحياة.

فيكِ تكمن الحكمة، وفيكِ تكمن السكينة،
أنتِ الشجرة التي تحمل في أغصانها سري.
أمي، كيف أصفكِ وأنتِ أسمى من كل وصف؟
وكيف أؤدي لكِ حقكِ وأنتِ أعظم من كل عطاء؟

في عيونكِ أرى كل الألوان،
وفي قلبكِ أرى كل الأماني.
أنتِ البحر الذي أغرق فيه من الحنان،
وأنتِ السماء التي أرفع إليها آمالي.

أمي، يا نبض القلب الأبدي،
يا حكاية لا تُقال ولكن تُحسّ.
يا رحلةَ الحياة التي لا تنتهي،
يا من جعلتِ من كل صعب سهلاً،
ومن كل ألم ابتسامة.

لا أستطيع أن أفيكِ حقكِ،
ولا أن أكتب لكِ شعراً يسدّ دينكِ.
لكنني سأظل أحبكِ ما حييتُ،
فأنتِ الأمل، وأنتِ الحياة، وأنتِ الوجود.

أسكنتُك بين معبدِ روحي...

أسكنتُك...
بين معبدِ روحي،
وثنايا قلبي،
فشرّدتَني
بينَ مفترقِ الطُرقاتِ،
قاصدةً...
مقصداً.

هكذا قالتْ تلك التي مضتْ،
وتركتْ خلفَها ظلًّا من الذكرى...
وجُرحاً لا يبرأُ!

لملمتُ صبري،
ووقفتُ على ناصيةِ الحنين،
أجمعُ ما تبقّى من نبضي،
أُحاولُ أن أرتّقَ المساءَ الممزّقَ في عينيّ،
وأُضمّدَ وجعي
بشيءٍ من الأملِ المُتهالكِ في صدري...

ناديتُكَ بين شقوقِ الليل،
لكنّ صوتي كانَ غريقاً في صدى الغياب،
كطائرٍ أضاع جناحيهِ في زوبعةِ الرحيل،
كدمعةٍ تبعثرتْ على صفحةِ السحاب!

أيا أنتَ...!
كيف هانَ عليكَ ..
أن تتركَ الوردَ وحيداً في مزهريته؟
كيف هانَ عليكَ أن تُطفئَ القمرَ في ناظري؟
أما تعلمُ أنني زرعتُك في قلبي،
وتركتُ نفسي أضيعُ فيك،
بلا رجعةٍ...
ولا منفذ؟

كلُّ الجهاتِ تناديني إليك،

كلُّ الأغاني تحملُ صوتك،
كلُّ الحروفِ تُعيدُ رسمَ ملامحِك فوق أوراقِي،
فكيف للذاكرةِ أن تُطفئ هذا الشوقَ العاتي؟

يا رجلاً وشَمَ خُطاهُ في جدرانِ روحي،
لماذا أتيتَ إن كنتَ راحلاً؟
لماذا أوقدتَ النارَ في بردِ أيامي،
ثم تركتَني رماداً
يتطايرُ مع رياحِ الذكرى؟

أما آنَ لهذا التيهِ أن ينتهي؟
أما آنَ لهذه الأقدامِ ..
أن تستريحَ من وجعِ الدروب؟
أيا قلباً ..
من زجاجٍ كسرتْهُ يدُ الرحيل...
ما عادَ يجدي أنَّ تعودَا
فقد صرتُ أنا
من يُجيدُ الفراق.

حينَ يَعبُرُنا السَّرابُ

أعيشُ بنصفي، كأنِّي سرابٌ،
تقاسَمتْني الليالي، وضاعَ الشبابُ.
كأنَّ الحياةَ مرايا رمادٍ،
إذا ما اقتربتُ، توارى الضبابُ.

إذا سِرتُ يوماً تنامى ظلالي،
وفي الريحِ نادت خطايَ السحابُ.
أتوهُ، فألقى بصوتي طريقاً،
وأبني من الصمتِ وُدّاً يُهابُ.

سألتُ الدُجى: أين كنَّا صغاراً؟
وأينَ تلاشى الحنينُ العجابُ؟
فقالَ: الرحيلُ كتابُ الأماني،
وكلُّ المسافاتِ فيها اغترابُ.

رأيتُ الضياءَ يشدُّ خطايَ،
ولكنهُ عن دُروبي غابُ.
فما كنتُ إلا نسيماً يعانقُ،
حدائقَ حلمي، ويمضي يذابُ.

غداً سوفَ تمضي الرياحُ بعمري،
كأنَّ الفصولَ وعودٌ تذابُ.
وتمضي الحياةُ كطيفٍ غريبٍ،
وفي آخرِ الحلمِ يأتي السرابُ!

"وفي الانتظار... نسكن القصيدة"

دعنا نؤجّل الرحيل،
فالمحطّات تعبت من خُطانا،
والقطارات...
تمرّ دون أن تسأل عنّا.
نجلس، كعادتنا،
غُرباء نُشبه الظلال،
نضحك بين الزحام،
ونبكي في صمت المقاعد...

يا أنت،
يا بعيداً كصوت الناي في صحراء الوقت،
ماذا أبقيتَ لي من دفءِ يديك؟
أما زلتَ تحفظ اسمي
في جيب معطفك الشتويّ؟
أما زالت نظرتك الأولى
تسهر بين رموشي؟

نتهجّى المدن كأسماءٍ غريبة،
ونتيه في الطُرقات،
لا خرائطَ لنا...
سوى نبضٍ كان لنا حين التقينا،
ثمّ نام.

قُل لي:
هل كنتَ أنت؟
أم كنتَ حلماً يُشبهك؟
هل كنتُ أنا،
أم امرأة خرجت من سطرٍ نُسي في كتاب؟

نمشي معاً... نعم،

نحملُ نفس الوجع،
نسمعُ نفس الموسيقى،
لكنّنا لا نلتقي في الزمن نفسه.

معاً... ولكنّنا وحدنا.
تائهان كحرفين في لغتين،
لا تُفرّقُنا الأيّام،
ولا تجمعُنا الطُرق.

ليلٌ بحروف القلب

الليل وطنٌ لأسرارٍ وأوجاعٍ
وفيه تعيش الأرواح المُنهَكة بين الضلوع،
حين تغسل الأنهار الجروح بصمتها
وتغني الحقول بأصوات الوجع المدوي.
يأتينا الليلُ كالشعاع المفقود،
يثقب العيونَ ويتركها تائهةً بين العتمة والضوء.

كم من ليالٍ أضحكتنا بأحلامها
ثم هوت بنا في غياهب الحزن المضيء،
تحملنا أمواجها إلى شواطئٍ بعيدةٍ
حيث لا صوت، ولا ذكرى، سوى صدى العزلة.
يا ليلُ ..
كيف تُخفي في قلبكِ كل هذا الألم
وتقودنا خلف الأفق..
إلى حيث لا نعرف العودة؟
كيف تمسح عن وجوهنا ملامح الفجر
ونحن عالقون في المسافات التي لا تنتهي؟

الليل ليس سوى لغة القلب المشاكس
الذي يخط أساطير الغياب في هوامش العمر.
هو الهمس الذي لا يسمعه إلا المجروحون،
هو الحكاية التي ترويها الأمواج للريح،
فيصبح لكل لحظةٍ سحرٌ يختبئ بين أضلُعنا.
نحن المهاجرون في مدنٍ بلا سماء،
نقاسي صمتك ..
يا ليل ..
كما يقاسي الجرح ما تبقى من حياة.

يا ليلُ ..

كيف تخبئين في صدركِ ألف سرٍ؟
تُطلين عليها من نافذة النجوم
وتنزلين من الغيم ببعض الغموض
كي لا نعرف كيف نترجم كلمات الصمت.
أنتَ في كل شيءٍ، وفي لا شيءٍ،
تخيط الحكايات من خيوط الرياح
وتجعلنا نشعر بالزمن الذي مرَّ
دون أن نراه، ودون أن نعرفه.

أنتَ موسيقى تُعزف على أوتار الغياب،
ومقامك بين الوجدان والعشق المفقود،
أنتَ عذوبةٌ تدور بين الفرح واليأس
وتأخذنا معك إلى حدود المكان
حيث لا مسافة بين العيون التي تلتقي،
ولا فاصل بين الحروف التي تموت.
فيك وحدك، تُولد الكلمات وتغرق،
وتغادر الأرواح دون أن تترك أثراً.

فالليل طقوسٌ تلازمنا في كل شبرٍ من العمر،
نحفظها في صدورنا ولا نبوح.
هو ذا الغياب الذي نكتب فيه الألم
ونغني طيبه، رغم العواصف التي تعصف بنا.
وفي كل مرةٍ، نتسلل إلى عمق الصمت،
بحثاً عن جوابٍ لا يأتي.

كم من مرةٍ ابتسمنا مع أملٍ فجّ
ثم تعثّرنا في الطريق إلى الغدِ البعيد.
ورغم الظلال التي تتسرب تحت أبوابنا
يظلّ الليل أصدق من أي وعدٍ قُطِع.
وأنتَ، يا ليلُ، أنتَ الأمل والخذلان
في نفس الحكاية، تُضيء وتغرق في الظلام.

أنتَ الفجر الذي يتأخر عن موعده
وأنتَ المدى الذي لا يتسع لآهاتنا.
يا ليل ..
أنتَ ذاكرة الغياب
وتاريخ الألم ..
الذي لا يسجل إلا في قلوب العاشقين.
وأنتَ، وحدك ..
العزف على أوتار الذاكرة
التي تذكرنا بكل ما فقدناه في غيابك.

منفى الغربة... وأنا في ظلالي

أمكث هنا...
في زاويتي الضيّقة،
حيثُ تتدلّى العتمة من سقفٍ بلا نجمة،
وتتنفّس الجدران صمتاً أثقلَ من الصخر.
في منفى غرفتي الفرديّة،
أُشعل شمعة الكلام،
فلا يسمعني أحد،
أتحدث إلى الصدى،
وأعانق الفراغ كأنّه أمّي الضائعة.

أبكي وحدي...
كأنّ الدموعَ طقوسُ النجاةِ الأخيرة،
وأضحك وحدي...
كأنّي أُداوي بالعَبَثِ نُدوبَ الزمن.
كلّ ضحكةٍ تنتهي بارتجافةٍ في الحلق،
وكلّ بكاءٍ يموت على وسادتي، كطائرٍ مكسورِ الجناح.

أتحدّثُ لصمتي،
ذلك الرفيقِ الثقيل،
الذي يجلسُ على صدري كلَّ مساء،
ويهمسُ لي:
"الوحدةُ ليستْ اختيارَك... بل قَدَرُك."

أنا هنا،
أتأمّل سقفَ الغربة،
حيث لا سماء ..
ولا نجوم ..
ولا ذاكرة...
وأنتَ هناك،

تُلوّح لي من بعيد،
بيدٍ لا أدري أكانت وداعاً...
أم رجاءً مؤجّلاً.

بقينا، كلٌّ لوحدته،
كأنّ الحياةَ قسّمتنا قسمةَ عزلة،
فأعطتني صمتاً،
وأعطتكَ غياباً.

الوحدةُ قاتلة،
موحشةٌ كليلٍ بلا قمر،
كمدينةٍ انطفأت أنوارُها فجأة،
ولم يبقَ فيها سوى عابرين بلا وجوه.

المنفى الذي صنعناه بأيدينا،
حفرناه حرفاً حرفاً،
عبرَ صمتٍ مدفونٍ تحت الكلمات،
وقصائدَ لم نكتبها،
وأغنياتٍ كتمناها خجلاً.

رغم الحشود من حولنا،
كنا نمرّ وسط الزحام كأشباح،
لا أحد يرانا،
ولا أحد يقرأ على وجوهنا علاماتِ الخراب.

سرنا في دروبٍ ليست دروبَنا،
دروبٍ مفروشةٍ بالاحتمالاتِ المكسورة،
بالأمنياتِ التي أكلها الوقت،
وبالأملِ الذي ضاع من جيبِ المعنى.

ربما هو قَدَرُنا...
وربما هو اختيارُنا،
لكن، ما الفرق؟

حين تتشابه النهاياتُ جميعُها،
ويكونُ الندمُ
هو اللغةَ الوحيدةَ التي نفهمُها الآن.

أيُّ ندمٍ يُعيدُنا إلى ذواتِنا؟
إلى تلك الأرواحِ التي أضعناها
في أروقةِ الانتظارِ الطويل،
أيُّ اعتذارٍ يكفينا
عن أعوامٍ أهديناها للسراب؟

الثمنُ الذي لا يُشترى،
ولا يُباع،
ولا يُسترجَع...
هو الضياع.

والغربة؟
ليست تلك التي تحدثُ خارج البلاد،
بل تلك التي تُقيم في الصدر،
وتُربّي فينا شتاءً داخلياً لا ينتهي.

المنفى الروحي...
أعمقُ من أيِّ سجن،
أشدُّ من أيِّ فِراق،
وأقسى من أيِّ نفيٍ جسدي.

فهل بقي ما يُعيدُنا؟
هل بقي ظلٌّ لذاك الذي كنّا عليه؟
أم أنّنا صِرنا
نسخاً باهتةً من أرواحٍ كنّا نحبُّها؟

أيتها الذاكرة...
خذي بيدي،
دلّيني على طريقٍ يعود بي إليّ،

إلى ذلك الطفلِ الذي كان يحلم،
إلى امرأةٍ كانت تضحك من دون خوف،
إلى ظلٍّ لا يخافُ الضوء.

إن كنتَ تسمعني...
فامسك طرفَ هذا الصمت،
واسحبه إليك،
فلربما نكتب عليه
سطراً أخيراً لا يُشبه النهاية،
بل يُشبه الرجوع...
أو الحنين...
أو الحبَّ الذي لم نقلْه يوماً.

مطرٌ في رحمِ العتمة

مطر...
وفي القلبِ صدى النايِ الحزين،
وفي المدى
ذاكرةٌ تئنّ على بلاطِ الوقت،
أو وطنٌ يُمزّقهُ الشتات.
مطر...
وأنا ابنةُ الريحِ التي لا بيتَ لي،
أحملُ مرآتي وأمضي...
ليس في وجهي سوى وجعِ النساء،
ولا على صدري
سوى وشمِ انكساراتِ الوداع.

كان في الكفِّ انتماءٌ،
ثمّ مات.
كان في الشرفةِ ضوءٌ،
ثمّ غاب.
كنتُ أمشي في شوارعِ صوتِه
كالأغنية،
وكان يُمهّدُ لي المطرُ سكوتاً
كي أقول:
"أحبُّه..."
لكنّه،
في آخرِ السطر،
رحل.

يا ليلُ...
هل سمعتَ وجعي؟
هل قرأتَ اسمَه على أهدابي؟
كنتُ أكتبُه من دمي،
أطويهِ في طرفِ ثوبي،
وأقولُ للغيم:
"ها قد عاد..."
ثمّ لا يعود.

مطر...
وفي رحمِ الكلامِ جنينُ صرخة،
وفي خاصرةِ الغياب
سكّينُ قبلة،
وفي صدري
مدينةٌ هجرتْها جميعُ الأبواب،
إلّا بابَ الندم.

آهٍ...
يا وجهَ المطرِ المختبئِ خلفَ النافذة،
أما زلتَ تحفظُ كيف كنتُ؟
عشرونَ قصيدةً خبّأتُها تحت الوسادة،
وعشرونَ دمعة
سقطتْ على فستانِ العيد،
حين تأخّرتَ عن الوعدِ الأوّل!

كنتُ هناك...
في الزاويةِ التي كنّا نرسمُ فيها قبلةَ اللقاء،
أُشعلُ قنديلَ صبري،
أُمهّدُ الزهرَ فوق الطريق،
وأقول:
"سيأتي،
سيجيء،
سيقول لي شيئاً
أبكيه،
ثم يُحبّني..."
لكنّه،
كان في جيبِ الليلِ الآخر.

يا مطر...
قُل له إنّي ما عدتُ أنثرُ صوتي على جسدِ الرسائل،
ولا أنتظرُ قبلةً تأتي من خريفِ شفتيه.
قُل له إنّي صرتُ أعرف:
أنّ الحنينَ خديعة،
وأنّ الحبّ — أحياناً —
يشبهُ الدموعَ على جبينِ التماثيل.

قُل له إنّي
خِلتُ الرجولةَ دفئاً،
فأحرقتني يداها.
ظننتُ الغيابَ صدفة،
فصار عقيدة.
رأيتهُ نبيّاً،
فكان لي
سيفاً من خذلان!

مطر...
وفي ذاكرتي
صوتُ أمي وهي تمشّطُ شعري:
"الرجلُ يا بنتي ظلٌّ لا يُمسَك،
عِطرٌ لا يُركَن،
نجمٌ إنْ لمحتيهِ سقطتِ،
ثمّ ناديتِ الغيمَ، فلم يُجِب."

كنتُ أُخبّئُه تحتَ جلدي،
كلّما قالوا: "انسَيْ"،
قلتُ: "كيف؟
وكلّ مساماتي تعرفُ اسمَه؟
كيف؟
ونبضي يكتُبُه حين أهربُ من القصيدة؟"

لكنّي،
الآنَ يا ليلُ،
يا مطر،
يا صمتَ الأرصفةِ البعيدة...
سأخلعهُ من دفتري،
أمزّقُ آخرَ رسالة،
أكنسُ وجهه من مرآتي،
وأعطيه للماء،
كما يُلقى الجسدُ الميتُ في الغيم.

أنا التي نزفتُ بصمت،
التي ابتلعتْ وجعَها خشيةَ أن يراكَ أحد،
التي كانتْ له ظهراً،

وكان لها سكيناً.

مطر...
لكنّي أُقسمُ الآن:
سأحبُّ ذاتي أكثر،
سأُرمّمُ صوتي،
وأخيطُ ظلّي كما تفعلُ الأراملُ بالحياة،
سأُطفئُ صُورَك واحدةً واحدة،
وأُشعلُني من جديد.

أجل...
سأقولُ للريح:
"أنا امرأةٌ
نجَتْ من العاصفة،
ورسمتْ فجرَها من رماد!"

كَي لا تَبْكِي

أنثىً تمزّقتْ كي تظلّ وردةً...

كَي لا تَبْكِي ..
نسيتُ كيفَ يكونُ الانكسارُ بصوتٍ عالٍ،
تعلّمتُ أن أضمَّ وجعي إلى صدري،
كما تُضمُّ القصائدُ في آخرِ الليل
إلى وسادةٍ لم تعُدْ تعرفُ النوم.

كَي لا تَبْكِي ..
أخفيتُ وجهي خلفَ النافذة،
كأنّي ظلٌّ لامرأةٍ مرّتْ،
وما تركتْ من عبيرها
إلّا رمادَ الحنين.

كَي لا تَبْكِي ..
كتبتُ لكَ ألفَ رسالةٍ،
ولم أُرسلْ منها شيئاً،
خشيتُ أن يراكَ الحرفُ،
فتُصابَ القصيدةُ بالرعشة...

كَي لا تَبْكِي ..
مشيتُ بينَ المرايا،
وحين التقيتُ بي،
لم أعرفْني...
كنتُ وردةً على هيئةِ غياب.

كَي لا تَبْكِي ..
غنّيتُ بصوتٍ مكسور،
أنشدتُ لي وحدي،
وأخبرتُ الريحَ

أن تحفظَ سرّي
حين يمرُّ طيفُك من الغياب.

كَي لا تَبْكِي ..
حملتُني في يديّ،
كما تُحملُ طفلةٌ خائفة،
وسِرتُ بي
خلفَ الحكايةِ المنسيّة،
أبحثُ عنّي...

كَي لا تَبْكِي ..
تعلّمتُ أن أرقصَ
مع ظلّي،
أن أضحكَ
على نكتةٍ لم يقلها أحد،
أن أحبّكَ دون أن أقول،
ودون أن أرجو الردّ.

كَي لا تَبْكِي ..
أقنعتُ المطرَ
أن يسكنَ شعري،
والشمسَ
أن تمسحَ جبيني،
وأن تكونَ الأرضُ صديقتي
حين يخذلني الجميع.

كَي لا تَبْكِي ..
ألبستُ جرحي ثوباً أبيض،
ودعوتُهُ إلى العشاء،
وشربنا نبيذَ الذكريات،
ثمّ ودّعتُه
كأنّه لم يسكنني...

كَي لا تَبْكِي ..
سألتُ الغياب:
كيف تُنقذُ قلباً مبتلًّا بكَ؟
فأجابني الصمت:
"اكتُبيهِ... وارفعيهِ إلى السماء".

كَي لا تَبْكِي ..
تظاهرتُ بالقوّة،
ضحكتُ حين هاجمني الليل،
وحين قالوا:
"إنّكِ هشّة"،
زرعتُ وردةً في صدري،
وأنكرتُ الألم.

كَي لا تَبْكِي ..
علّمتْني القصائدُ
أنّ الدمعَ ليسَ ضعفًا،
بل هو إعلانُ حُبٍّ متأخّر،
فقلتُ:
دعْ قلبي يُعلنهُ
في سرّ الورق...

كَي لا تَبْكِي ..
كتبتُ هذه القصيدة،
وفي كلّ بيتٍ
خبّأتُ دمعةً كانت ستفرُّ،
فاحتضنتُها،
ونمتُ على صدرِ حروفِها،
كأنّي ما زلتُ...
أنتظرُك.

وفي النهاية...
كنتُ قصيدةً تائهة، تمشي حافيةً في دروبِ المعنى،
تسألُ الحبرَ عن جسدٍ يُشبهُها،
وتبحثُ في الورقِ عن يدٍ تضمُّ شتاتها.
لم أُكتَبْ لأُقرَأَ فقط، بل لأُشفى...
وحين انتهيتُ من البوح،
اكتشفتُ أنَّ التي كانت تائهةً
لم تكن القصيدة،
بل أنا.

في آخرِ السطر...

لم أكن أكتبُ الشعر،
كنتُ أكتبُني.
كنتُ أرمّمُ شروخَ روحي بكلماتٍ لا تُشفى،
وألملمُ صوتي من بين أوراقٍ
تتذكّرني أكثرَ ممّا أتذكّرُ نفسي.
لم تكن القصيدةُ طريقاً،
بل متاهةً مشيتُها وحدي.
وحين وصلتُ إلى نهايةِ الحرف،
لم أجد خاتمة،
وجدتُني...
أنا التائهة،
والقصيدةُ كانت مرآتي.

"كنتُ قصيدةً تنسى كلماتها في كل مساء."

لم أكن أكتبُ الشعر،
كنتُ أكتبُني.
كنتُ أرمّمُ شروخَ روحي بكلماتٍ لا تُشفى،
وألملمُ صوتي من بين أوراقٍ
تتذكّرني أكثرَ ممّا أتذكّرُ نفسي.
لم تكن القصيدةُ طريقاً،
بل متاهةً مشيتُها وحدي.
وحين وصلتُ إلى نهايةِ الحرف،
لم أجد خاتمة،
وجدتُني...
أنا التائهة،
والقصيدةُ كانت مرآتي.

شيرين داريعي

I was a wandering poem